محيي الدين بن عربي

الشرح التام لكتاب «أيام الشأن»





تأليف: عبد الباقي مفتاح

الشرح التامّ

لكتاب "أيّام الشأن"

لمحيي الدّين بن العربي

عنوان الكتـــاب: **الشرح التامّ لكتاب "أيام الشأن" لمحيي الدين بن العربي**

اســم المؤلــف: **عبد الباقي مفتاح**

المـوضـــــوع: **دراسات فكرية**

عدد الصفحات: **156 ص**

القيــــــــاس: **14.5 × 21.5 سم**

الطبعـة الأولى: **1000 / 2019 م - 1440 هـ**

ISBN: 978-9933-38-131-8



سورية . دمشق . ص ب **4650**

تلفاكس: **+963 11 2314511**

هاتـــف: **+963 11 2326985**

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org

دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع

 **Ayman ghazaly**

العمليات الفنية:

التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

عبد الباقي مفتاح

الشرح التامّ

لكتاب "أيّام الشأن"

لمحيي الدّين بن العربي



بسم الله الرحمن الرحيم

- ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّـهِ﴾

(إبراهيم: ٥).

- ألا إنّ لربّكم في أيّام دهركم لنفحات ألا فتعرّضوا لها.

(حديث نبوي رواه الطبراني في "الأوسط" والحكيم الترمذي في "نوادر الأصول").

نـــور الكواكب موقوف على السّــور
وسورَة الحمد نـــور الشمس والقمر
فانظرْ إلى فــلــك إن دار في فــلــك
أعطــاك علمًا بمعنى الرّوح والصّور

(من كتاب "التنزّلات الموصلية لمحيي الدّين بن العربي).



الفهرس

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم الفتاح العليم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد القائل: "إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّــه السَّماواتِ والأَرْضَ"، وعلى آله وصحبه وسلّم.

تقديم

مدخل: لكتاب "أيّام الشأن":

ذكر الشيخ الأكبر محمد محيي الدّين بن العربي (٥٦٠-٦٣٨ هـ.) كتابه هذا في الفتوحات (في الباب ١١ وفي الفصل ٢٤ من الباب ١٩٨)، وفي كتابه "عقلة المستوفز"، وفي الفهرس (رقم١٢٣)، وفي إجازته للملك المظفّر بهاء الدين غازي (رقم ١٣٣). كما ذكر في هذا الكتاب عناوين كتب أخرى له، وهي: "الفتوحات المكية"، و"كتاب الجداول والدوائر"، و"كتاب الجلالة"، و"كتاب النشأة"، وكتاب"الهياكل".

وفي كتابه حول تصانيف الشيخ الأكبر، ذكر عثمان يحيى "كتاب الشأن" تحت رقم ٦٧، وقال إنّ له عنوانا آخر هو: "كتاب السبعة"، ويعني بها أيّام الأسبوع. وذكر له نحو ١٨ مخطوطا في مختلف مكاتب العالم، ولم يجد له أيّ شرح. والنسخة المخطوطة في مكتبة وليّ الدّين هي بخط الشيخ نفسه، وتتضمّن سماعين بحضور الشيخ: أوّلهما كان سنة ٦٠٣هـ. والقارئ تلميذ الشيخ النجيب ابن سودكين، ومن بين الحاضرين صاحبه

الوفيّ الآخر بدر الحبشي؛ وثانيهما كان بدمشق في بيت الشيخ سنة ٦٣٣هـ. والقارئ علي بن المظفر بن القاسم النشبي.

وفي هذا دليل على أنّ الشيخ كتب هذا الكتاب في المشرق بعد شرُوعه في كتابة "الفتوحات المكية" في مكة سنة ٥٩٩هـ.، وقبل سنة ٦٣٣هـ. أو خلالها قبل ذلك السماع الأوّل للكتاب.

تمهيد:

للزّمان في القرآن أهمّية كبيرة، فقد تكرّر ذكر تفاصيله وأقسم الحق– تعالى– بها تنبيها على مكانتها الوجودية في مئات الألفاظ المتعلقة بها (الليل/ النهار/ الساعة/ الغروب/ الغسق/ العشاء/ السَّحَر/ الفجر/ الصبح/ الغداة / العشي/ البكرة/ مشتقات الشروق/ الفجر/ الظهيرة/ القيلولة/ الضحى/ العصر/ الأصيل/ الآن/ الأمس/ الغد....). ولفظة (يوم) تكرّرت مع مشتقاتها في القرآن نحو ٤٠٦ مرّة، أغلبها يتعلق بيوم القيامة. وكثيرا ما نجد في الآيات اقترَان الليل بالنهار غشيانا أو إيلاجا أو تقليبا أو تكويرا، وذلك نحو ٤٤ مرّة. وجاء الليل أحيانا للدلالة على اليوم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (البقرة: ٥١)، والمقصود أربعين يوما. وقد يُطلق لفظ اليوم على النهار في مقابل الليل كما في قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (سبأ: ١٨). ولم يُذكر من أيّام الأسبوع إلا يوم الجمعة مرّة واحدة، ويوم السبت ومشتقاته متعلقا باليهود سبع مرّات.

وأقسم الحق تعالى أيضا بالأجرام الفلكية ومواقع النجوم مؤكّدا بالخصوص على الكواكب الدّراري السيّارة في السماوات السبعة وبروجها

ومنازلها، ونبّه على علاقات حركاتها بالأدوار الزّمانية، بل حتى على علاقتها بآيات القرآن العظيم، وبالنفس الإنسانية. قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة: ٧٥-٨٠). وقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (التكوير: ١٥-١٩). وقال: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١-١٠). وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٩٦-٩٧). وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (الإسراء: ١٢).

وفي هذا الإطار القرآني كتب الشيخ الأكبر كتاب "أيّام الشأن" الذي سنقدّم شرحا له في هذه الأوراق. وهو - في حدود علمي- شرح غير مسبوق. وفي هذا الكتاب أرَاد الشيخ إعطاء مرجعية وصبغة قرْآنية لتعاليم فلكية موجودة ضمن علم الفلك التراثي كما هو مفصّل في كتبه التي كانت شائعة في المدارس الإسلامية وفي معاهد العلوم التراثية عند الأمم الأخرى منذ آلاف السنين كما سنذكره لاحقا. وهذا ما أشار إليه الشيخ في آخر هذا

الكتاب بقوله إنّ أيّام التكوير يعلمها كافة الناس، ثمّ قال: "وأيّام السلخ يعرفها العارفون. وأيّام الإيلاج يعلمها العلماء الحكماء وارثوا الأنبياء- صلوات الله عليهم أجمعين-". وهؤلاء العارفون والحكماء وُجدوا في جُلّ الأمم منذ فجر التاريخ الإنساني.

ونشير إلى كتاب آخر من كتب الشيخ، فصّل فيه بإسهاب أسرار الطهارة والصلوات. وقِسْمُه الثاني يتعلق بالصلوات اليومية وتناسبها مع أفلاك الكواكب السماوية السبعة، وتوجد فيه معطيات نفيسة مكمّلة ومفصّلة لكتاب "أيّام الشأن"، وهو كتاب "تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك"، وله عنوان آخر هو: "التنزّلات الموصلية"، لأنّ الشيخ كتبه في مدينة الموصل سنة ٦٠١ هـ.

وتمهيدا لفهم فقرات كتاب "أيّام الشأن" تحسن قراءة المقدّمات التالية.

مقدّمات

الأصل الإدريسي للعلوم الكونية في التراث الروحي العرفاني:

في العديد من نصوصه يقول الشيخ إنّ من المتفق عليه عند أهل هذا الشأن أنّ المصادر الأولى للعلوم الإلهية والكونية للبشرية الراهنة هي ممّا أوحى الله تعالى به إلى الوالد الأوّل آدم الذي علّمه الأسماء كلها، وإلى ابنه شيث، ثم إلى النبي إدريس الذي رفعه الله مكانا عليا - على جميعهم السلام -. وإدريس هو المسمّى عند الحكماء القدامى بـ"هرمس الهرامسة"، و"المثلث بالحكمة"، و"إمام الحكماء". وهو الذي سمّاه الشيخ الأكبر بـ"مداوي الكلوم قطب عالم الأنفاس"، وخصّص لبيان بعض العلوم التي علّمها للناس البابين ١٤ و١٥ من الفتوحات؛ ومن تعاليمه انتشرت تلك العلوم وتوارثتها كل الأمم. يقول الشيخ عنه في كتابه"الإسفار عن نتائج الأسفار"، وما بين قوسين توضيح لكلام الشيخ:

سفر إدريس عليه السلام:

هو سفر العزّ والرّفعة مكانًا ومكانة:

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٦-٥٧). ويُقال إنه أوّل من كتب بالقلم من بني آدم، فأوّل إمداد القلم الأعلى له -عليه السلام-. كان قد أسري به إلى أن بلغ السماء ١لسابعة، فصارت السماوات كلها في حوزته.

واعلموا أنّ السماوات كلها قد جعلها الله محلا للعلوم الغيبيّة المتعلقة بما يُحدث الله في العالم من الكائنات، جوْهرها وعَرَضها، صغيرها وكبيرها، وأحوالها وانتقالاتها. وما من سماء إلا وفيها علم مُودع بيد أمينها. وأوْدع الله نزول ذلك الأمر إلى الأرض في حركات أفلاكها، وحلول كواكبها ني منازل الفلك الثامن (أي الفلك المكوكب، فلك الكواكب التي تبدو في النظر ثابتة، لأنّ حركتها بالنسبة لمن في الأرض بطيئة جدّا). وجعل لكواكب هذه السماوات السبع اجتماعات وافترَاقات، وصعودا وهبوطا؛ وجعل آثارها مختلفة؛ وجعل منها ما يكون بينه وبين كواكب أخرى مناسبة، وجعل منها ما يكون بينه وبين كواكب أخرى منافرة كلّية.

وذلك أنه إذا أودع عند الواحد ضدّ ما أودع عند الآخر كانت المنافرة، لا أنهم أعداء، وإنما ذلك لحقائق خلقهم الله تعالى عليها تقضي بذلك، وبشغلهم بطاعة ربّهم وتسبيحه، لا يعصون الله ما أمرَهم. كما جاء في خلقه "مالك" خازن النار أنه ما ضحك قط بخلاف "رضوان" الذي خلق من سرور وفرح، وكلاهما عبدان صالحان مطيعان، ليس بينهما عداوة ولا شحناء. غير أنّ الآثار هنا في العالم الأسفل تنبعث عن تلك الحقائق، وعندنا أغرَاضنا قائمة، فيقع بيننا التحاسد والعداوَة، والأصل من ذلك.

وأمّا عدم المنافرة بين المتناسبين منها، فهو أنْ أوْجد الواحد على خلاف ما أوْجد الآخر لا على ضدّه. فكلّ ضدّ خلاف، وما كلّ خلاف ضدّ. فإنّ وكيل السماء السابعة يضاد وكيل السماء السادسة (يعني الشيخ أنّ طبيعة السماء السابعة ترابية باردة يابسة، فهي ضدّ طبيعة السماء السادسة الهوائية الحرّة الرطبة)، حتى أنّ ما يعلمه صاحب السماء السادسة إذا صار وقت

الحُكم فيه للمَلَك الموَكّل في السماء السابعة أفسد ما أصلحه صاحب السماء السادسة، كما يفعل أيضا صاحب السماء السادسة إذا أصلح ما يفسده صاحب السابعة. وكلّ مَلَك ما عنده أنه يفسد، وإنما يقول في فعله أنه أصلح من حيث أنه امتثل فيه أمر ربّه، وأدّى ما أمِّن عليه وهو الأمر الذي ذكر لله تعالى أنه أوحى في السماوات، فقال -عزَّ من قائل-: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ (فصلت: ١٢).

فإذا أنستَ بهذا القدر، وَعلمتَ أنه لا يطعن في العَقْد، وإلاّ فأيّة فائدة كانت في قول الله تعالى: ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ (النحل: ١٢). فبماذا سخّرَها يا أخي في هذا وأشباهه؟ أليس الله قد سخّر العالم بعضه لبعض فقال: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (الزخرف: ٣٢) وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ١٣). فذكر أنّ في السماء أمورا مسخّرَة لنا مثل ما في الأرض. فلا يقدح في عقيدة مسلم كونه يعلم ما أوحى في السماء من أمرها وفي ماذا سخّرَها عالمُها. ولو كان ذلك لأطّرَد في الأرض وفي السماء. ونحن في كل زمان نهرب إلى الأسباب التي نصبها الله لنا، وعرّفنا بها على جهة أنها مسخّرَة، لا على أنها فاعلة، نعوذ بالله، لا أشرك به أحدا. وإنما كفّر الشارع من اعتقد أنّ الفعل للكواكب لا لله، وأنّ الله يفعل الأشياء بها، هذا هو الكفر والشرك. وأمّا مَن يرَاها مسخّرة، وأنّ الله أجرَاها حكمة فلا، بل من جهة ما أودع الله فيها، وما أوحى الله فيها من الأمور، ورتّب فيها من الحِكَم. (ومن لم يعتبرْها هكذا) فقد فاته خير كثير وعلم كبير. وماذا بعد الحق إلا الضلال.

واعلم أنّ إدريس -عليه السلام- لمّا علم أنّ الله - تعالى- بالعلم الذي أوحاه إليه، قد ربط العالم بعضه ببعضه، وسخّر بعضه لبعضه، ورأى أنّ عالم الأركان مخصرص بالمُوَلّدات، رأى اجتماعات الكواكب واقترانها في المنازل، واختلاف الكائنات، واختلاف الحرَكات الفلكية. ورأى السريعة والبطيئة، وعرف انه مهما جعل سفره وسيره مع البطيء، أنّ السريع يدخل تحت حُكمه، فإنّ الحركة دوريّة لا خطّية، فلا بدّ أنْ يرجع عليه دور الصفير السريع، فيعلم من مجاورَة المبطئ فائدة المسرع. فلم ير ذلك إلا في السماء السابعة، فأقام عندها ثلاثين سنة (يعني الشيخ أنّ هذه المدّة هي تقريبا مدّة دورة تامّة لكوكب زحل في فلكها المناسب للسماء السابعة) يدور معها في نطع فلك البروج، في مرْكز تدوير وكيلها، وفي الفلك الحامل لفلك التدوير. والفلك الحامل لأفلاك التداوير هو الذي يدور به فلك البروج. فلمّا عاين ما أوحى الله في السماء، وعاين أنّ الكواكب قريبة الاجتماع ببرج السرَطان، فعلم أنّه لا بدّ أنْ يكرن الله ينزل ماء عظيما وطوفانا عامّا، لِما تحققه من العلم، ومشى في دقائق الفلك، فعلم الجُمل والتفصيل (يعني الشيخ أنّ اجتماع الكواكب في برج السرطان دالّ على الطوفان، لأنّ السرطان برج مائي بارد رطب، وهو البرج الذي خلق الله عند طالعه عالم الدّنيا، أي السماوات السبع التي مظاهرها المحسوسة أفلاك الكواكب السبعة، والأراضي السبعة، فعالم الدنيا هذا هو ما يُسمّى في العلم الحديث بالمجموعة الشمسية).

ثم نزل فاختص من أبناء دينه وشرْعه ممّن عرف أنّ فيه ذكاء وفطنة، فعلّمهم ما شاهد وما أودع الله من الأسرار في هذا العالم العلويّ، وأنه من

جملة ما أوحى الله في هذه السماوات أنه يكون طوفان عظيم، ويهلك الناس ويُنسى العلم. وأرَاد بقاء هذا العلم على من يأتي بعدهم، فأمر بنقشها في الصخور والأحجار (يُقال أنّ الهرم الثالث الكبير في مصر يتضمّن في بنيته وأشكاله واتجاهاته وهندسته طرفا من العلوم الإدريسية؛ ويتضمّن الهرم الثاني طرفا من علوم شيث بن آدم، ويتضمّن الهرم الأوّل طرفا من علوم آدم، وهم الأنبياء الثلاثة المشهورون قبل الطوفان).

ثمّ رفعه الله المكان العليّ، فنزل بفلك الشمس، وهو الفلك الرّابع وسط الأفلاك السماوية، وهو القلب، لأن فوقه خمس كور، وتحته مثل ذلك (أي فوقه أفلاك المريخ والمشتري وزحل والفلك المكوكب وفلك البروج. وتحته أفلاك الزهرة والكاتب والقمر والنار والهواء). فأعطاه الله في هذا السفر الذي رفعه به إليه مقام القطبية والثبات. وجعل الأمر يدور عليه، وعنده يجتمع الصاعد والنازل. وأنتج له هذا السفر علم الزّمان والدّهر وما يكون فيه. وعلم الزمان من أسنى المعارف المَوْهوبة. وأنتج له رُوحانية الليل والنهار وما سكن فيهما.

فمن سافر إلى عالم قلبه كما سافر إدريس، عاين الملكوت الأفخم، وتجلى له الجبروت الأعظم، وعاين سرّ الحياة الذي هو روحها والساري بها في جميع الحيوانات، وفرّق بين الكثير والروح القليل، وأعطى كلّ ذي حق حقّه، وعرف من كتب نقوشه السفلية، ومراتب أرواحه العلويّة، وانبعاث الفروع من الأصول، وانعطاف الفروع على الوصول، وصورة الكون، وحِكمة الدّوْر، وما أشبه هذه المعارف. ويكفي هذا القدر من سفر إدريس عليه السلام] انتهى.

علوم الشيخ الأكبر شرعية إلهامية كشفية لا فكرية:

صرّح الشيخ الأكبر أن ما فصّله في كتبه من حقائق لم يكن نتيجة دراسات فكرية نظرية ولا اقتباسات من آراء فلسفية، وإنما هو فتح ربّاني من لباب النصوص الشرْعية. وفي هذا السياق نقل ابن سودكين – التلميذ النجيب للشيخ الأكبر – في كتابه (لواقح الأسرار ولوائح الأنوار/ مخطوط تيمور، صفحة ٦٨) ما سمعه من الشيخ في شأن العلوم الإدربيسية، وهو قوله:

[عملتُ على كشف الحقيقة الإدريسية، وذلك أني نظرت إلى أحوال الفلاسفة ونقلهم عنهم واختلافهم عليه، فقلت أريد أن آخذ هذا الأمر من بابه وأعلم من أين دخل عليهم الغلط، فأقمتُ في الخلوة ستة وثلاثين يوما، فعلمت الأمر منه على ما هو عليه. وحصلت لي من الصحف التي سلمت من صحائف داود اثنتي عشر صحيفة. ورأيتُ الغلط إنما دخل على القدماء من أنفسهم، وذلك أنه بلغهم من كلامه فتأوّلوا فاختلفوا، كما بلغنا نحن حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – فأحلّ هذا شيئا وحرّمه الآخر، على قدر قوّتهم في فهم الكلام].

وعند كلامه عن الأركان الطبيعية الأربعة في الباب الثاني من الفتوحات يقول: [... ثمّة موجود خامس هو أصل لهذه الأركان، وفي هذا خلاف بين أصحاب علم الطبائع عن النظر، ذكره الحكيم في الأسطقسات، ولم يأت فيه بشيء يقف الناظر عنده. ولم أعرف هذا من حيث قراءتي علم الطبائع على أهله، وإنّما دخل به عليّ صاحب لي وهو في يده، وكان يشتغل بتحصيل علم الطب. فسألني أن أمشيه له من جهة علمنا بهذه الأشياء من جهة الكشف لا

من جهة القراءة والنظر.فقرأه علينا فوقفت منه على هذا الخلاف الذي أشرت إليه، فمن هناك علمته، ولولا ذلك ما عرفت هل خالف فيه أحد أو لا، فإنّه ما عندنا فيه إلاّ الشيء الحق الذي هو عليه، وما عندنا خلاف. فإنّ الحق تعالى الذي نأخذ العلوم عنه بخلّو القلب عن الفكر، والاستعداد لقبول الواردات، هو الذي يعطينا الأمر على أصله من غير إجمال ولا حيرة، فنعرف الحقائق على ما هي عليه].

ويرُدّ الشيخ الأكبر على الذين يزعمون أنّ هذه العلوم الكشفية الحاصلة لأولياء الله - تعالى - مقتبسة من النظريات الفلسفية فيقول في مقدّمة الفتوحات:

[ولا يحجبنك أيها الناظر في هذا الصنف من العلم الذي هو العلم النبوي الموروث منهم صلوات الله عليهم، إذا وقفت على مسألة من مسائلهم قد ذكرها فيلسوف أو متكلم أو صاحب نظر في أي علم كان، فتقول في هذا القائل الذي هو الصوفي المحقق إنه فيلسوف، لكون ذلك الفيلسوف ذكر تلك المسألة وقال بها واعتقدها، وأنّه نقلها منهم أو أنه لا دين له، فإنّ الفيلسوف قد قال بها ولا دين له. فلا تفعل يا أخي، فهذا القول قول من لا تحصيل له. إذ الفيلسوف ليس كل علمه باطلا، فعسى أن تكون تلك المسالة فيما عنده من الحق، ولاسيما إن وجدنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد قال بها، ولاسيما فيما وضعوه من الحكم والتبري من الشهوات ومكايد النفوس وما تنطوي عليه من سوء الضمائر (...) وأمّا قولك إن قلت سمعها من فيلسوف أو طالعها في كتبهم، فإنك ربما تقع في الكذب والجهل. أمّا الكذب فقولك سمعها أو طالعها وأنت لم تُشاهد ذلك منه،

وأمّا الجهل فكونك لا تفرق بين الحق في تلك المسألة والباطل. وأمّا قولك عن الفيلسوف: لا دين له، فلا يدُلّ كونه لا دين له على أنّ كل ما عنده باطل. وهذا مدرك بأوّل العقل عند كل عاقل. فقد خرجت باعتراضك على الصوفي في مثل هذه المسألة عن العلم والصدق والدّين، وانخرطت في سلك أهل الجهل والكذب والبهتان ونقص العقل والدين وفساد النظر والانحراف].

معرفة الأزل والزمان المتوَهّم والموجود والمقدّر

في الباب ٥٩ من الفتوحات قال الشيخ الأكبر ما خلاصته:

[اعلم أن نسبة الأزل إلى الله نسبة الزمان إلينا. ونسبة الأزل نعت سلبيّ لا عين له، فلا يكون عن هذه الحقيقة وجود، فيكون الزمان للممكن نسبة متوَهّمة الوجود لا موجودة، لأنّ كل شيء تفرضه يصحّ عنه السؤال بـ"متى؟"، و"متى؟" سؤال عن زمان. فلا بد أن يكون الزمان أمرا متوهما لا وجودا. ولهذا أطلقه الحق عن نفسه في قوله: ﴿وَكَانَ اللَّـهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠) ﴿لِلَّـهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ (الروم: ٤). وفي السنّة تقرير قول السائل: "أين كان ربّنا قبل أن يخلق خلقه؟". فلو كان الزمان أمرا وجوديّا في نفسه ما صحّ تنزيه الحقّ عن التقييد إذ كان حكم الزمان يقيّده. فعرفنا أنّ هذه الصيغ ما تحتها أمر وجودي. ثم نقول إنّ لفظة الزمان اختلف الناس في معقولها ومدلولها. فالحكماء تطلقه بإزاء أمور مختلفة، وأكثرهم على أنه مدّة متوهّمة تقطعها حركات الأفلاك. والمتكلمون يطلقونه بإزاء أمر آخر، وهو مقارنة حادث لحادث يُسأل عنه بـ"متى؟". والعرب تطلقه وتريد به الليل والنهار،

وهو مطلوبنا في هذا الباب. والليل والنهار فصّلا اليوم: فمن طلوع الشمس إلى غروبها يسمّى نهارا، ومن غروب الشمس إلى طلوعها يسمّى ليلا. وأظهر هذا اليوم وجود الحركة الكبرى. فما في الوجود العينيّ إلا الوجود المتحرّك لا غير، وما هو عين الزمان. فرجع محصول ذلك إلى أنّ الزمان أمر متوَهم لا حقيقة له. وورد في الحديث الصحيح اسمه تعالى"الدهر" وهو الجامع للأزل وللآن وللأبد.

وإذا تقرّر هذا فاليوم المعقول المقدّر هو المعبّر عنه بالزّمان الموجود، وبه تظهر الجُمعات والشهور والسنون والدهور، وتسمّى أيّاما، وتقدّر بهذا اليوم الأصغر المعتاد الذي فصّله الليل والنهار. فالزمان المقدّر هو ما زاد على هذا اليوم الأصغر الذي تقدّر به سائر الأيّام الكبار، فيقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة: ٥). فالأيّام كثيرة، ومنها كبير ولا حدّ لأكبرها يوقف عنده، ومنها صغير، فأصغرها الزمن الفرد وعليه يخرج: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩) والدرَج والدقائق، وهكذا إلى ما لا يتناهى عند بعض الناس. فإنهم يفصّلون الدقائق إلى ثوان. فلمّا دخلها حُكم العدد، والعدد لا يتناهى، فالتفصيل في ذلك لا ينتهي. وبعض الناس يقولون بالتناهي في ذلك، وينظرونه من حيث المعدود، وهم الذين يثبتون أنّ للزمان عين موجودة، وكل ما دخل في الوجود فهو متناه بلا شك. والمخالف يقول المعدود من كونه بعدما دخل في الوجود فلا يوصف بالتناهي، فإنّ العدد لا يتصف بالتناهي. وبهذا يحتجّ منكر الجوهر الفرد، وأنّ الجسم ينقسم إلى مالا نهاية له في العقل، وهي مسألة خلاف بين أهل النظر حدثت من عدم الإنصاف والبحث عن مدلول الألفاظ].

وفي الباب ٣٦٧ يورد الشيخ الأكبر حوارا جرى بينه وبين روحانية سيدنا إدريس -عليه السلام- في مكانه العليّ بالسماء الشمسية الرابعة، وفيه بيان عميق لعلاقة الزمان بالخلق، فيقول:

[قلت - أي لإدريس -: فإني رأيتُ في واقعتي شخصا بالطواف أخبرني أنه من أجدادي وسمّى لي نفسه، فسألته عن زمان موته فقال لي: أربعون ألف سنة، فسألته عن آدم لِما تقرر عندنا في التاريخ لمدّته، فقال لي: عن أي آدم تسأل عن آدم الأقرب؟ فقال - أي إدريس عليه السلام -: صدِّقْ أني نبيّ الله ولا أعلم للعالم مدّة نقف عندها بجملتها، إلا أنه بالجملة لم يزل خالقا ولا يزال دنيا وآخرة، والآجال في المخلوق بانتهاء المدد لا في الخلق، فالخلق مع الأنفاس يتجدّد، فما أعْلِمْناه علمناه، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥). فقلت له: فما بقي لظهور الساعة؟ فقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ١). قلت: فعرّفني بشرط من شروط اقترابها. فقال: وجود آدم من شروط الساعة. قلت: فهل كان قبل الدنيا دار غيرها؟ قال: دار الوجود واحدة، والدار ما كانت دنيا إلا بكم، والآخرة ما تميّزت عنها إلا بكم، وإنما الأمر في الأجسام أكوان واستحالات، وإتيان وذهاب، لم يزل ولا تزال... قلت: ما الأمر الأعظم؟ قال: العالِم به أعظم].

وللشيخ الأكبر رسالة نفيسة عنوانها: "كتاب الأزل" بيّن فيها مختلف أقوال المتكلمين في حقيقة الزمان والأزل، ووضّح أخطاء بعضهم في هذا الموضوع. ولبّ خلاصتها في ما يلي:

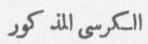
[تخيّلتْ طائفة أنّ الأزل مثل الخلاء: امتداد معقول كما الخلاء امتداد في غير جسم، كذلك الأزل امتداد من غير توالي حركات زمان، فكأنه تقدير زمان. وهذا كله خطأ. فالأزل حُكمه حكم القِدم وهو نفي الأوّلية، فهو نعت سلبيّ ليس بصفة أصلا. فإيّاك أنْ تتوَهّم كما توَهّمه الضعفاء من أنّ العالم كان يجوز أنْ يوجد قبل أو بعد الوقت الذي أوجده فيه، أي تقدير وقت إيجاده.فهذا خلف من الكلام لأن التقدير في لا شيء فيه ما فيه. والذي ينبغي أنْ يقال: إنّ الباري موجود بنفسه، غير مستفاد الوجود من أحد، والعالم موجود به مستفاد الوجود منه، لأنه ممكن بذاته واجب الوجود بغيره من حيث أنه مستفيد. فليس بين وجود الحقّ والخلق امتداد كما يُتوَهم، ولا أنه بقي كذا وكذا ثم أوجد، فإنّ هذه كلها توَهمات فاسدة ترُدّها العقول السليمة. فلا بينية عند الحق ولا عند الخلق،إنما هو ارتباط محْدَث بقديم، أو ممكن بواجب، أو واجب وجود بغير واجب الوجود بذاته، ليس إلاّ. واعلم أنّ سرّ الأزل وروحه إنما هو: "أنا" (يعني المخلوق الحادث).وهكذا إخوان الأزلية كالقِدَمية والأوّلية والآخرية والظاهرية والباطنية. فهذه كلّها لولا "أنا" ما كان منها شيء. فإنْ صحّت هذه النعوت له أزلا فأنا هناك أزلا بلا أزلية. وإنْ لم تصحّ ولا عيني فلست هناك].

البروج الاثنا عشر ومنازل الفلك المكوكب وسماوات أفلاك الكواكب السبعة والأراضي السبعة:

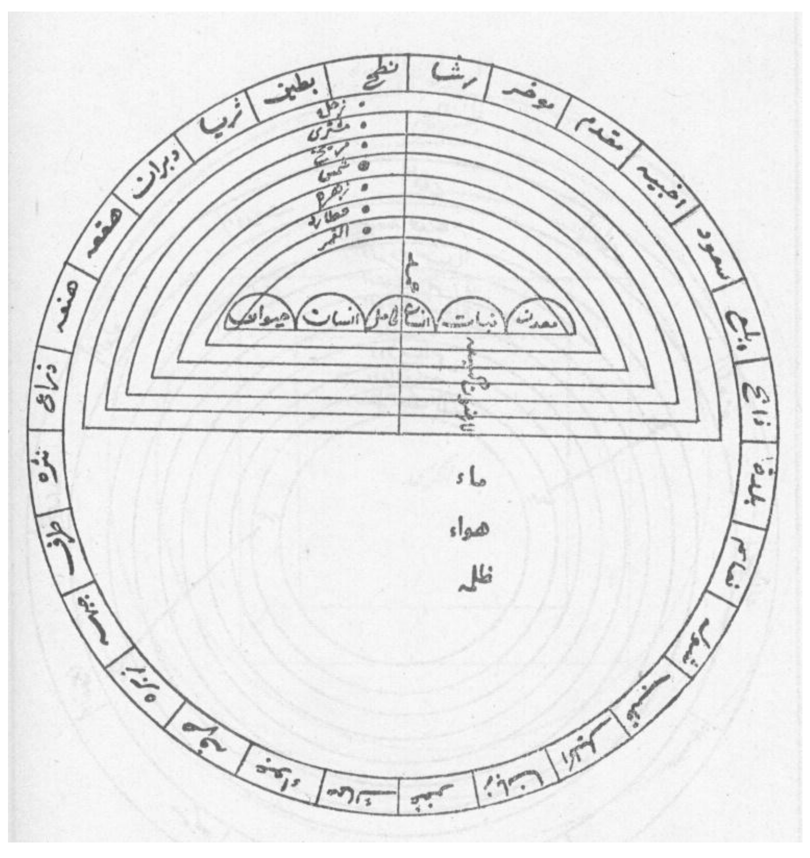
- فلك البروج هو المنطقة الدَائِرَية التي ترسمها الشَّمْس بسيرها من الْمشرق إِلَى الْمغرب فِي السّنة. وكلّ قسم من هذا الفلك يسمّي

برجا، وهي ١٢ برجا، بدءا من الحمل وانتهاء بالحوت. وفي الشكل الرّمزي التالي الذي رسمه الشيخ في الباب ٣٧١ من الفتوحات المتعلق بسورة الرعد، نجد رسما رمزيّا لدائرة فلك البروج، وهو المظهر الخارجي المحسوس للعرش المحيط الذي هو سقف الجنة، ولهذا رتّب الشيخ تحته دوائر الجنات السبعة، التي سطحها الفلك المكوكب، وهذا الفلك المكوكب، فلك المنازل الكوكبية، هو المظهر المحسوس المشهود للكرسي الملكوتي الباطن، الذي هو سقف عالم الدّنيا الآن، وسقف جهنم في الآخرة. ونعني بالدنيا الأراضي السبعة وسماواتها السبعة التي مظهرها المحسوس أفلاك الكواكب الدّرَاري السبعة، أي ما يُسمّى في العصر الحديث بالمجموعة الشمسية.

- وفي نفس الباب ٣٧١ رسم الشيخ رسما رمزيا لدائرة فلك المنازل الثمانية والعشرين، وهي التي ينزل القمر في واحدة منها كل ليلة حسب تسلسلها، بدءا من منزلة النطح (ويسمى أيضا: الشرْطين) في بداية برج الحمل، وانتهاء بمنزلة الرّشا في آخر برج الحوت. وتحته أفلاك الكواكب السبعة على شكل أنصاف دوائر، موصولة بالأراضي السبعة المناسبة لها على شكل خطوط أفقية مستقيمة. وعلى الأرض المولّدات من معدن ونبات وحيوان وإنسان. وفي المركز موقع الإنسان الكامل مرموزا بالعمد العمودي الواصل بين السماوات العلى والأراضي السفلى، أي المستوعب لكلّ مراتب الوجود.



الحمل
الحوت
الثور
الدلو
الجوزا
الجدي
جنة عدن
الفردوس
النعيم
المأوى
الخلد
دار السلام
دار المقامة
سطح الفلك المكوكب



التناسبات بين الأيّام السبعة والحقائق الوجودية:

نلخّص في الجدول التالي نتائج هذه التناسبات التي فصّلها الشيخ في العديد من كتبه، ولمزيد من التفاصيل حولها يُنظر الباب ١٩٨ والباب ١٦٧ من الفتوحات، وكتاب "عقلة المستوفز"، وكتاب "تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك، وهو كتاب "التنزلات الموصلية"؛ وينظر أيضا كتابنا"الحقائق الوجودية الكبرى". وهذه التناسبات تتعلق بتناسب أيّام السبعة المؤلفة للأسبوع (ترتيبها في السطر الأول):

- مع الأسماء الإلهية الأئمّة في السطر الثاني،
- ومع الأسماء الحسنى المتوجّهة على إيجاد السماوات، في السطر الثالث.
- ومع ترتيب السماوات في تناسبها مع الأيّام، في السطر الرّابع.
- ومع ملائكتها ومقدّميهم في السطر الخامس.
- ومع الحروف اللفظية في السطر السادس.
- ومع أقطابها من الأنبياء في السطر السابع،
- ومع المنازل الفلكية في السطر الثامن،
- ومع الكواكب الدّراري السيّارة في السطر التاسع.
- ومع الصلوات اليومية في السطر العاشر.
- ومع المعادن في السطر الحادي عشر.

الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
السميع	الحي	البصير	المريد	القدير	العليم	المتكلم
النور	المبين	القاهر	المحصي	العليم	المصور	الرّب
السماء٤	السماء١	السماء٥	السماء٢	السماء٦	السماء٣	السماء٧
الصافات الرّفيع	السابحات المحيي	الفارقات الخاشع	الناشطات الرّوح	الملقيات المقرّب	الفاتقات الجميل	النازعات عزرائل
ن	د	ل	ط	ض	ر	ي
إدريس	آدم	هارون	عيسى ويحيى	موسى	يوسف	إبراهيم
السماك	الإكليل	العواء	الزبانا	الصرفة	الغفر	الوبرة
الشمس	القمر	المريخ	الكاتب	المشتري	الزهرة	زحل
الإمام	المأموم	العشاء	العصر	الظهر	المغرب	الصبح
الذهب	الفضة	الحديد	القصدير	الكهرمان	النحاس	الرصاص

الكواكب الدراري السيارة السبعة وأسمائها ولياليها ونهاراتها وبروجها وطبائعها وصفاتها:

- كوكب الفلك الأوّل هو: القمر، وهو النيّر الأصغر، وله أسماء كثيرة منها: الزبرقان، واللامع، والبدر، والساهور، والوباص، والواضح، والأبرص، والْأَزْهَر، والزَّمْهَرِير، والْغَاسِق، والجلم، وغير ذلك.
- كوكب الفلك الثاني: الكاتب، ويقال له: المكاتب وعطارد والرّجراجي.
- كوكب الفلك الثالث: الزهرة، ويقال لها: الجارية والغرّاء والبيضاء.
- كوكب الفلك الرابع: الشمس، وهو النيّر الأعظم، ولها أسماء كثيرة منها: اللامعة، والغزالة، ويُوح، والمنيرَة.
- كوكب الفلك الخامس: المريخ، ويقال له: الأحمر، وبهرام، وكوكب الدّم، وكوكب النار لأنّ طبعه ناريّ حار يابس.
- كوكب الفلك السادس: المشتري، ويقال له: البرجيس، والقاضي، والسعد الأكبر.
- كوكب الفلك السابع: زحل، ويقال له: الشيخ، وكيوان.
- وبيوت الكواكب هي البروج التي لها علاقة متميّزة بها. فبيت الشمس هو برج الأسد بطبعه الناري الحار اليابس كطبع الشمس. وبيت القمر هو برج السرطان بطبعه المائي البارد الرطب كطبع القمر. واعتُبر نصف الفلك من أوّل الأسد إلى آخر الجدي حيّز الشمس، ومن أوّل الدّلو إلى آخر السرطان حيّز القمر. فبقي لكل واحد من الكواكب الخمسة الأخرى بيتان: واحد من حيّز الشمس والآخر من حيّز القمر، كما هو مبيّن في الجدول التالي.

- ووابل الكوكب هو البرج المقابل لبيته في النصف الثاني لفلك البروج. فالسرطان يقابله الجدي، والأسد يقابله الدلو، والتوأمان (ويسمّى أيضا الجوزاء) يقابله القوس، والثور يقابله العقرب.

- وشرف الكوكب يتطابق مع درجة البرج التي يكون فيها أثر الكوكب في أقصى قوّته، وتقابلها في النصف الثاني للفلك درجة سقوط الكوكب. فشرف الشمس في الدرجة ١٩ من الحمل، وسقوطها في الدرجة ١٩ من الميزان. وشرف القمر في الدرجة الثالثة من الثور، وسقوطه في الدرجة الثالثة من العقرب.

الدّراري	القمر	الكاتب	الزهرة	الشمس	المريخ	المشتري	زحل
بيوتها	السرطان	توأمان عذراء	ثور ميزان	الأسد	حمل عقرب	قوس حوت	جدي دلو
وابلها	الجدي	قوس حوت	عقرب حمل	الدلو	ميزان ثور	الجوزاء عذراء	سرطان أسد
شرفها	٣ من الثور	١٥ من العقرب	٢٧ من الحوت	١٩ من الحمل	٢٨ من الجدي	١٥ من السرطان	٢١ من الميزان
سقوطها	٣ من العقرب	١٥ من الحوت	٢٧ من العذراء	١٩ من الميزان	٢٨ من السرطان	١٥ من الجدي	٢١ من الحمل
نهارها	نهار الاثنين	نهار الأربعاء	نهار الجمعة	نهار الأحد	نهار الثلاثاء	نهار الخميس	نهار السبت

لياليها	ليلة الجمعة	ليلة الأحد	ليلة الثلاثاء	ليلة الخميس	ليلة السبت	ليلة الاثنين	ليلة الأربعاء
صفتها	مؤنثة سعيدة	ممتزج	مؤنثة سعيدة	مذكر سعيد	مؤنث نحس	مذكر سعيد	مذكر نحس
أزمانها	ليلية	ممتزج	ليلية	نهارية	ليلية	نهارية	نهارية
طبعها	مائية	ممتزج	مائية	ناري	نارية	هوائي	ترابي

تتمّة: في كتابنا "المفاتيح الوجودية والقرآنية لفصوص الحكم لابن العربي"، وضّحنا التناسب بين تسلسل الأبواب السبعة والعشرون للفصوص مع مراتب الوجود في النّفَس الرحماني كما فصّلها الشيخ في الباب ١٩٨ من الفتوحات. وبيّنّا تناسب السماوات السبعة وكوكبها مع الفصوص التالية نزولا من سماء زحل السابعة إلى سماء القمر الأولى، وكذلك تناسب كل فصّ مع سورة قرآنية:

- للسماء السابعة فص حكمة فتوحية في كلمة صالحية، وسورة قريش.
- للسماء السادسة فص حكمة قلبية في كلمة شعيبية، وسورة التكاثر.
- للسماء الخامسة فص حكمة ملكية في كلمة لوطية، وسورة القارعة.
- للسماء الرّابعة فص حكمة قدَريّة في كلمة عزيرية، وسورة العاديات.
- للسماء الثالثة فص حكمة نبوية في كلمة عيساوية، وسورة العصر.
- للسماء الثانية فص حكمة رحمانية في كلمة سليمانية، وسورة الهمزة.
- للسماء الأولى فص حكمة وجودية في كلمة داودية، وسورة الماعون.

مفاتيح كتاب الشأن:

أصناف الأيّام في الأرض عند الشيخ الأكبر:

في هذا الفصل بيان للمفاتيح الأساسية الكافية لفهم ما فصّله الشيخ في كتابه هذا: "كتاب أيّام الشأن". وقد قسّم الشيخ الأيّام إلى ثلاثة أصناف، وهي المعروفة عند الحكماء القدامى منذ معلّمهم الأول إدريس- عليه السلام-، ونجد ما يكافئها في كتب الفلك التراثي عند جُلّ الأمم. وأقرّ الشيخ بصحّتها، واستنبط أسماءها من آيات من القرآن العظيم.

- **أيّام التكوير:** استنبط الشيخ اسمها من قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (الزمر: ٥) وهي الأيّام المعروفة عند جميع الناس، المشهودة المتتابعة نهارَاتها تلو لياليها، المؤلّفة للأسبوع المعروف. وفي كلمة "التكوير" إشارَة إلى كروية الأرض، وإلى أنّ الزيادة في طول الليل تستلزم نقصا في مدّة النهار، والعكس بالعكس. والحساب القمري- كما هو عند العرب- يعتبر الليل مقدّما على النهار، والحساب الشمسي- كما هو عند بعض الأمم الأخرى- يعتبر النهار مقدّما على الليل. ولكلّ ليلة ولكل نهار علاقة بكوكب من السيارة السبعة كما هو مشهور في علم الفلك التراثي الأصيل، وعليه تدلّ أسماء الأيّام في العديد من اللغات الأجنبية، حيث أسماؤها مشتقة من أسماء الكواكب المناسبة لها. وتتألّف كل ليلة من اثنتي عشرة ساعة متساوية، وكذلك كل نهار. فهي ساعات تطول مدّتها أو تقصر باختلاف طول أو قصر الليل والنهار خلال الفصول والشهور والأسابيع والأيّام.

- **أيّام السّلخ:** استنبط الشيخ اسمها من قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّـهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (يس: ٣٧). وذلك وفق الترتيب التالي: بين كلّ ليلة والنهار المسلوخ منها ثلاث ليال وثلاثة نهارات. فنهار الأربعاء مسلوخ من ليلة الأحد فشأنهما واحد، أي لهما نفس الآثار في الأرض، لأنّ الحاكم على أوّل ساعة منهما هو روحانية كوكب عطارد، وتتسلسل نوّابها، لكل ساعة نائب، بنفس الترتيب. ونهار الخميس مسلوخ من ليلة الاثنين لأن الحاكم على أوّل ساعة منهما هو كوكب المشتري، فشأنهما واحد. ونهار الجمعة لليلة الثلاثاء فشأنهما واحد. ونهار السبت لليلة الأربعاء. ونهار الأحد لليلة الخميس. ونهار الاثنين لليلة الجمعة. ونهار الثلاثاء لليلة السبت. ونهار الثلاثاء لليلة السبت.

وسبب هذا الترتيب هو أنّ بداية العدّ تنطلق من أوّل ساعة من ليلة الأحد، وهي لروحانية كوكب الكاتب (أي عطارد). وسيتكلم الشيخ في السطور الأولى من كتابه هذا عن سبب اختيار الأحد كبداية، وعن اختيار الليل سابقا عن النهار. وتناسب هذه البداية مع كوكب الكاتب مرجعها إلى طبيعة هذا الكوكب وفلكه وسمائه، فهو الكوكب الوحيد الذي له طبيعة ممتزجة من جميع الطبائع، وصفاته مزيج من جميع الصفات، فطبيعته بمثابة الرّكن الأصلي الخامس الذي يسمّيه البعض: "الأثير"والذي منه تنبثق الأركان الأربعة الأخرى: الهواء والماء والتراب والنار. أي أنّ من طبيعته الجامعة للطبائع كلها، ستتميّز طبائع الكواكب الستة الأخرى وروحانياتها، وتتسلسل – وفق ترتيبها المعهود كالتالي:

فروحانية كوكب الكاتب لها أوّل ساعة من ليلة الأحد، فهي الحاكمة على هذه الليلة، ونائبها على الساعة الثانية من هذه الليلة هي روحانية القمر الذي يلي كوكب الكاتب نزولا. ونائبها على الساعة الثالثة روحانية زحل، وعلى الساعات الرابعة والخامسة إلى الساعة الثانية عشرة روحانيات المشتري، ثم المريخ، ثم الشمس ثم الزهرة، ثم الكاتب مرّة أخرى على الساعة الثامنة، ثم القمر، ثم زحل، ثم المشتري، ثم المريخ. وهنا تنتهي الليلة. ويبتدئ نهار الأحد بروحانية الكوكب التالي للمريخ وهي روحانية الشمس الحاكمة على نهار الأحد مع نوابه وفق التسلسل السابق.

والساعة التي تتلوها لروحانية الكوكب الذي يتلو الشمس نزولا وهو الزهرة، والساعة الثالثة لعطارد (أي الكاتب) الذي يتلو الزهرة، والساعة الرابعة للقمر، والخامسة لزحل، والسادسة للمشتري، والسابعة للمريخ، والساعة الثامنة يعود فيها الحكم للحاكم الأصلي الأول أي الشمس. والتاسعة للزهرة، والعاشرة لعطارد، والحادية عشر للقمر، والثانية عشر لزحل. وهنا ينتهي نهار الأحد. وتبتدأ الساعة الأولى من ليلة الاثنين بحكم المشتري. وهكذا يستمر التتابع إلى منتهى الأسبوع. والمقصود بالساعة النهارية جزء من اثني عشرة جزء من المدة بين طلوع الشمس وغروبها، والساعة الليلية كذلك بين الغروب والشروق.

ويستمر الأمر على هذا المنوال إلى أخر ساعة من نهار السبت، عند نهاية الأسبوع. وفي الجدول التالي تفصيل ذلك، وهو الجدول الذي نجده في كتب الفلك التراثي الذي كان يُدرّس في معاهد أسلافنا.

- **أيّام التوالج:** استنبط الشيخ اسمها من قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ (فاطر: ١٣): بالرجوع إلى الجدول التالي الجامع لترتيب حكم الكواكب السبعة في كل ساعة خلال أسبوع كامل يتبيّن أنّ لكل واحدة منها اثنتا عشرة ساعة ليلية واثنتا عشرة ساعة نهارية موزّعة على الأسبوع.

وحيث أنّ يوم الأحد هو الأنسب للشمس إذ هي الحاكمة على أوّل ساعة من نهاره، ابتدأ الشيخ بليلة الأحد في بيانه لليالي ونهارات التوالج. فجعل ليالي توالج يوم الأحد مِؤلّفة من مجموع الساعات الأولى الاثنتي عشرة لروحانية الشمس خلال الأسبوع، وسمّاها ليلة الأحد الإيلاجي. ومجموع الساعات الاثنتي عشرة الأخرى الباقية لروحانية الشمس سماها الشيخ يوم الأحد الإيلاجي، ويعني بها بلفظة أدق: نهار الأحد الإيلاجي، لأنّ كثيرا ما تستعمل لفظة "يوم" بدلا من لفظة "نهار". وعلى هذا المنوال ليالي ونهارات الإيلاج للأيّام الستة الأخرى.

تتمّة:

فهذه الأصناف الثلاثة للأيّام متداخلة في بعضها البعض، ولكل يوم أحداث وآثار تظهر من حكم طبيعة الكوكب الحاكم في اليوم مع طبيعة الكوكب الحاكم في الساعة ومنزلتهما الفلكية وبرجهما. فطبيعة زحل ترابية باردة يابسة، فلها حفظ بقاء صور العالم وإمساكها وتكوينها. وطبيعة المشتري هوائية حارة رطبة، فحكمها السيلان من الرطوبة والتحليل من الحرارة. وطبيعة المريخ والشمس نارية حارة يابسة، فلهما التسخين

والتلطيف. وطبيعة الزهرة والقمر مائية باردة رطبة، فلهما التقطير وإمداد المولدات بالعصارات.

وأحكام وآثار هذه الأيّام من حيث كواكبها واقعة بتمامها في كل آن، لأنّ الأربعة وعشرين ساعة المشكلة لليوم موجودة في كلّ آن موزّعة على الكرة الأرضية بجملتها.

تفصيل:

في الجدول التالي بيان تفصيلي للكواكب الحاكمة روحانيتها على كلّ ساعة من ساعات ليالي ونهارات أيّام الأسبوع. وروحانية الساعة الأولى من الليلة أو النهار هي الحاكمة على تلك الليلة أو ذلك النهار، ومنه تتبيّن أيّام السلخ بلياليها ونهارَاتها. كما تتبيّن أيّام التوالج بلياليها ونهاراتها بتتبع ساعات نفس الكوكب خلال الأسبوع.

الليالي	ليلة الخميس	ليلة الجمعة	ليلة السبت	ليلة الأحد	ليلة الاثنين	ليلة الثلاثاء	ليلة الأربعاء
نهاراها	نهار الأحد	نهار الاثنين	نهار الثلاثاء	نهار الأربعاء	نهار الخميس	نهار الجمعة	نهار السبت
١	الشمس	القمر	المريخ	الكاتب	المشتري	الزهرة	زحل
٢	الزهرة	زحل	الشمس	القمر	المريخ	الكاتب	المشتري
٣	الكاتب	المشتري	الزهرة	زحل	الشمس	القمر	المريخ
٤	القمر	المريخ	الكاتب	المشتري	الزهرة	زحل	الشمس
٥	زحل	الشمس	القمر	المريخ	الكاتب	المشتري	الزهرة
٦	المشتري	الزهرة	زحل	الشمس	القمر	المريخ	الكاتب
٧	المريخ	الكاتب	المشتري	الزهرة	زحل	الشمس	القمر
٨	الشمس	القمر	المريخ	الكاتب	المشتري	الزهرة	زحل
٩	الزهرة	زحل	الشمس	القمر	المريخ	الكاتب	المشتري
١٠	الكاتب	المشتري	الزهرة	زحل	الشمس	القمر	المريخ
١١	القمر	المريخ	الكاتب	المشتري	الزهرة	زحل	الشمس
١٢	زحل	الشمس	القمر	المريخ	الكاتب	المشتري	الزهرة

كتاب أيام الشأن

للشيخ الأكبر محيى الدين بن العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله العليّ الشأن، العظيم السلطان، الذي هو كل يوم في شأن، المدلول على ذلك بـ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ (الرحمن: ٣١)، عيّن الأيّام بالحركة المحيطة فتعيّنتْ[١]، وأوجد فيها ما تحت تلك الحركة من الأدوار والأكوار فظهرت أعيانها وثبتت؛ وأظهر في تلك الأكر بحكم الأدوار وُجُودَ الليل والنهار[٢]، فتحكّمت روحانيتها في الأركان وتمكّنت[٣]؛ وأفشت هذه الأركان بتحكّم هذا الدّوْر الزماني ما كان كتمه من التكوينات وأعلنت، فبرزت المولّدات على قدر الاستعدادات وتكوّنت[٤]، فتاهت الأرواح السيّارة الحاكمة حين تسلطنت[٥]؛ وأنبتت بالأرض الأريضة يوم الأحد السعيد عند نزول الشمس بيت شرفها[٦] فاهتزّت لالتحامها وربت لحملها وتحسّنت، بما وضعته من حملها وازّينت. فسبحان مسخِّر الأيّام، ومنزل الأحكام، لا إله إلا هو العليّ العلام.

وصلى الله على من كان يومه المعروف: الاثنين[٧]، ويومه المشهود المؤثر: الثلاثاء[٨]، ويومه المخصوص بذاته: الجمعة[٩]. وله في كل يوم دقائق، وعلى كل ساعة حقائق، صلاة تامّة وسلاما دائما، ما انفرد عن جميع الخلائق بأحسن الخلائق[١٠].

أمّا بعد: فهذا كتاب سمّيته كتاب: "أيام الشأن"، وهو ما يحدث في أصغر يوم في العالم من الآثار الإلهية، والانفعالات من تركيب وتحليل، وتصعيد وتنزيل، وإيجاد وإشهاد. وكنّى -عزّ وجلّ- عن هذا اليوم الصغير، باليوم المعروف في العامّة، فوسّع في العبارة من أجل فهم المخاطبين، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩)؛ ثم تلاه بقوله - جلّ ثناؤه- بقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ (الرحمن: ٣١)؛ فهو يفرغ لنا منا، لأنا المقصودين من العالم لا غير.

فنحن روح العالم المنفوخ فيه بالنفخة الإلهية. فالعالم جسم سوّاه الله وحسّن خلقه، وأكمل نشأته الظلمانية، ثم نفخ فيه روحا من روحه، فانفتق رتقه، واستنار وجوده، وانطردت ظلمته، فنطق بالثناء والحمد[١١]. فنحن الخلفاء، ولنا دارت الأفلاك، وبنا تنزّلت الرّوحانات والأملاك[١٢].

فكلّ يوم هو سبحانه في شأن، فالشأن مسألة السائلين. فإنه ما من موجود إلاّ وهو سائله، لكن هم على مراتب

في السؤال. فأمّا الذين لم يوجدهم الله - تعالى- عن سبب، فإنّهم يسألونه بلا حجاب، لأنهم لا يعرفون سوَاه علما وعينا. ومنهم من أوجده الله - تعالى- عند سبب يتقدّمه وهو أكثر العالم[١٣]؛ وهم في سؤاله على قسمين:

- منهم من لم يقف مع سببه أصلا، ولا عرّج عليه، وفهم من سببه أنه يدلّ على ربّه، لا على نفسه. فسؤال هذا الصنف كسؤال الأوّل بغير حجاب.

- ومنهم من وقف مع سببه، وهم على قسمين: منهم من عرف أنّ هذا سبب قد نصبه الحق، وأنّ وراءه مطلبا آخر فوقه، وهو المسبّب له، ولكن ما

تمكنت قدمه في درج المعرفة لموجد السبب، فلا يسأله إلا بالسبب لأنه أقوى للنفس. ومنهم من لم يعرف أنّ خلف السبب مطلبا، ولا أنّ ثم مسبّبا، فالسبب عنده نفس المسبّب، فهذا جاهل، فسأل السبب فيما يضطرّ إليه، لأنه تحقق عنده أنه ربّه، فما سأل إلا الله. لأنه لو لم يعتقد فيه القدرة على ما سأله فيه لما عبده، وذلك لا يكون إلا الله، فهو ما سأل إلا الله. ومن هذا المقام يجيبه الحق على سؤاله لأنه المسؤول، ولكن بهذه المثابة.

فعلى هذا هو المسؤول بكل وجه، وبكل لسان. وعلى كل حال هو المشهود له بالقدرة المطلقة النافذة في كل شيء. فما من جوهر فرد في العالم إلا وهو سائله سبحانه في كل لحظة، وأدقّ من اللحظة، لكون العالم في كل لطيفة ودقيقة مفتقرا إليه، ومحتاجا إليه في حفظه لبقاء عينه، ومسك الوجود عليه بخلق ما به بقاؤه.

وليس من شرط السؤال هنا بالأصوات فقط، وإنما السؤال من العالم بحسب ما يليق به ويقتضيه أفقه وحركة فلكه ومرتبته. وقد قال فيما شرّف سليمان به أنه علّمه منطق الطير فعرف لغتها، وتبسّم ضاحكا من قول النملة للنمل: ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ (النمل: ١٨). وقال الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ (النمل: ٢٢). وقالت السماوات والأرض: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: ١١). وأبت السماوات والأرض والجبال حمل الأمانة وأشفقن منها. وفي صحيح الأخبار: "ما من دابّة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة إشفاقا من الساعة"[١٤]. وكان -عليه السلام- راكبا بغلته فنفرت عند قبر لّما سمعت عذاب صاحبه حتى كادت أنْ تلقيه[١٥]. وقال في أُحُد: "هذا جبل يحبنا ونحبه"[١٦]. وسبّح الحصى في كفه[١٧]. وهذا

حجر كان يسلم عليه[١٨]. ولا تقوم الساعة حتى يحدث الرجل فخذه بما فعل أهله[١٩]. وقالت الجلود: ﴿أَنطَقَنَا اللَّـهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصلت: ٢١). وقد أخبر الله تعالى أنّ الظلال ومن في السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس إلا وقد أخبر عنه أنه يسجد لله. فما ترك شيئا في العالم من الجماد إلى درجة الإنسان. وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤).

ومعلوم أنّ ما هنا صوت معهود، ولا حرف من الحروف المعلومة عندنا، ولكن كلام كلّ جنس ممّا يشاكله، وعلي حسب ما يليق بنشأته، ويعطيه استعداده لقبول الرّوحانية الإلهية السارية في كل موجود. و﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (الإسراء: ٨٤).

فما من موجود بعد هذا إلا ويتفق منه السؤال. فشأنه في كل دقيقة خلق السؤال في السائلين، وخلق الإجابة بقضاء الحاجات. وتنزل على أصحابها بحسب دورة الفلك الذي يخلق منه الإجابة. فإن كان الفلك بعيدا، أعني حركة التقدير التي بها تنزل على صاحبها بعد كذا وكذا حركة، فتتأخر الإجابة، وقد تتأخر لدار الآخرة بحسب حركتها.

وإنْ كان فلكلها قريباً، أعنى حركة التقدير التي خُلِقت الإجابة فيها، ظهر الشيء في وقته أو يقرب. ولهذا أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- أنّ كلّ دعوة مجابة، لكن ليس من شرطها الإسراع في الوقت، فمنها المؤجّل ومنها المعجّل بحسب حركة التقدير[٢٠].

حقيقة

واعلمْ أنّ الأيّام وإن كثرت، فإنّ الأحكام الفعلية الذي هو الشأن يقللها، إلى أن يردّها أسبوعا لا غير. وتتكيّف هذه الأيّام بالشهور، كما يتكرّر الليل والنهار فى الأيام، كما تتكرّر الساعات في الليل والنهار. وكذلك الشهور في السنين، والسنون في الدهور والأعصار.

فالله لم يزل يُجري في الأشياء على ما تعطيه الحقائق. وإن جوّز العقل خلافها فلقصوره، فإنّ الحقائق لا تتجلى إلا بالكشف الرّباني. وأمّا بهذه الأدلّة التي بأيدى النظّار، فما تعطى إلا القدر اليسير، وقد ربما لا تحصل الثقة به. فللعقول حدّ تقف عنده لا تتعدّاه. وهذه الأمور ورَاء طوره، حسبه فيها التسليم، والالتجاء إلى الله حتى يلقيها فيه ضرورة، أو يكشفها له عيْنا.

فالحق- سبحانه- أبدا يعطف بالأعجاز على الصدور. فالأمر دوريّ لا يزال في الروحانيات والجسمانيات[٢١]، وتحدث بينهما الأشكال العجيبة الغريبة: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس: ٣٩). فنهار يكرّ على ليل، وليل يكرّ علي نهار، وفلك يدور، وخلق يدور، وكلام يدور، وحروف تدور، وأسماء تدور، وخريف يدور، وربيع يدور، وشتاء يدور، وصيف يدور، وسيّارة تدور: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩)، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ (الواقعة: ٦٢). وفي هذه الأبيات عبرة[٢٢]:

انظــرْ إلى العــرش عــلى مائــه	ســـفينة تجـــري بأســـمائه
واعجــبْ لــه مــن مركــب دائـر	قـــد أودِع الخلـــق بأحشـــائه
يســـبح في بحـــر بـــلا ســـاحل	في حنـــدس الغيـــب وظلمائـــه

ومَوْجــــه أحـــوال عشــــاقه	وريحـــــه أنفـــــاس أبنائـــــه
فلــــو تـــراه بـــالورى ســـائرا	مـــن ألـــف الخـــط إلى يائـــه
ويرْجـــع العَـــوْد عـــلى بدئـــه	ولا نهايـــــــات لإبدائـــــــه
يكـــوّر الصـــبح عـــلي ليلـــه	وصـــبحه يفنـــى بإمســـائه

فأعداد تدور، وحركات تتكرّر. فسبحان مدبّرها ومديرها، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

بيان

قال الله – تعالى-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (ق: ٣٨)، مع قدرته علي خلقه إيّاها دفعة واحدة من غير تدريج. لكن القدرة لا تؤثر في القدَر[٢٣]، إنما أثرُها في المقدور بشاهد القدر. فإن شهد لها القدر بالتأثير أثّرت، وإلاّ أمسكت عن إذن القدر، لا عن نفسها. فمِن حُكم القدر كونها في ستة أيّام.ولا سبيل إلى عدول القدرة عمّا حكم به القدر: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ (ق: ٢٩).

واليوم عندنا عبارة عن دورة واحدة من دورَات فلك الكواكب الثابتة، الذى السماوات والأرض من جوفه وتحت حيطته. وهو من النطح الي النطح، ومن البطين إلى البطين، ومن الثريا إلى الثريا، إلى آخر المنازل. ومن درجة المنزلة ودقيقتها، إلى درجتها ودقيقتها، وأخفى من ذلك، إلى أقصى ما يمكن فيه الوقوف عنده. لكن أبين ما تكون فيه هذه النكتة: الدرجات.

فنقول: إنه ما من يوم من هذه الأيّام المعروفة للعامّة، وهو من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس، أو من غروبها إلى غروبها، أو من استوائها إلى استوائها، أو ما بين ذلك على حسب صاحب اليوم، فما من يوم- قلنا من هذه الأيّام- إلا وفيه نهاية ثلاثمائة وستين يوما.هذا موجود في كل يوم. ولهذا ما من يوم إلا ويصلح أن يتكون فيه كل ما يتكوّن فى أيّام السنة من أوّلها إلى آخرها، لأنّ فيه نهاية كل يوم من أيّام السنة، وفيه حكم ذلك اليوم ولا بدّ، لكنه يخفي من أجل ما فيه منه إلاّ نهاية خاصة. أنه

فاليوم طوله ثلاثمائة وستون درجة، لأنه يظهر فيه الفلك كله، وتعمّه الحركة. وهذا هو اليوم الجسماني. وفيه يوم روحاني، فيه تأخذ العقول معارفها، والبصائر مُشاهَدتها، والأرواح أسرارها، كما تأخذ الأجسام في هذا اليوم الجسماني أغذيتها وزيادتها ونموّها وصحتها وسقمها وحياتها وموتها.

فالأيّام من جهة أحكامها الظاهرة في العالم المنبعثة من القوّة الفعّالة للنفس الكلية سبعة: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت. ولهذه الأيّام أيّام روحانية يعرفها العارفون، لها أحكام في الأرواح والعقول، تنبعث من القوّة العلاّمة للحقّ الذي قامت به السماوات والأرض، وهو الكلية الإلهية.

وعلى هذه الأيّام السبعة يكرن الكلام ق هذا الكتاب، فإنها التي تدور، ويدور الحُكم بدورَانها.

ولمّا كانت هذه الأيّام السبعة من جهة الحُكم الظاهر فيها، لم يمكن لنا إلاّ أنْ نبيّنها كيف هى، لأنها ما هى على ما نشهد. لأنّ المشهود إنما هو يوم

واحد ليل ونهار، وكونها سبعة تدور ليس بمشهود. فلهذا جعلناها علي ترتيب الحُكم، وهو أثبت في العلم.

فنقول – قال الله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (الزمر: ٥). فهذا هو المشهود من الأيّام المحسوسة.

ثم أبان الحق من طريق الحُكم عن حقيقتين بعد هذا، فقال في الواحدة: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ (يس: ٣٧). فهذا قد أنبأ أنّ الليل أصل، والنهار كان غيبا فيه، ثم انسلخ كإخراج النور في الظلمة. وليس معنى السلخ معنى التكوير، فقد عدل في هذه المرتبة عن اليوم المشهود عند العامّة. فتعيّن علينا أنْ نبيّن ليل كل نهار من غيره، حتى يُنسَب كلّ ثوب إلى لابسه، ونرُدّ كلّ فرْع إلى أصله؛ فنلحق كل ابن بأبيه، فإنه ملعون من انتسب إلى غير أبيه.

وقال تعالى في الإبانة على الحقيقة الأخرى، وهي أقوى في الحكم: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ (فاطر: ١٣). فجعله نكاحًا معنويّا لمّا كانت الأشياء تتولّد فيهما معا. وأكّد هذا المعنى بقوله: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ (الأعراف: ٥٤)، من قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ﴾ (الأعراف: ١٨٩)، فأراد النكاح فكنّى. ولهذا كان كل واحد ملوج فيه، فكل واحد منهما لصاحبه أهل وبعل. فكلّ ما تولّد في النهار فأمّه النهار وأبوه الليل، وكلما تولّد في الليل فأمّه الليل وأبوه النهار[٢٤]. فليس إذن حُكم الإيلاج حُكم السلخ. فإنّ السلخ إنما هو في وقت أن يرجع النهار من كونه مولجا ومولجا فيه، والليل كذلك، إلا أنه ذكر السلخ الواحد، ولم يذكر السلخ الآخر من أجل الظاهر والباطن،والغيب والشهادة، والروح والجسم، والحرف والمعنى، وشبه ذلك.

فالإيلاج روح كله، والتكوير جسم هذا الروح الإيلاجي، ولهذا كرّر الليل والنهار في الإيلاج، كما كرّرها في التكوير، هذا في عالم الجسم، وهذا في عالم الأرواح[٢٥].

فتكوير النهار لإيلاج الليل، وتكوير الليل لإيلاج النهار. وجاء السلخ واحدا للظاهر لأربابه، ولم يذكر السلخ الآخر لأنه معلوم فيه. ولوْلا ذلك التكوير ما كرّره وما احتاج الناظر إلى تكرار الإيلاج، لأنه لو لم يكن تكرّر كل واحد منهما لتكرار كل واحد من الآخرين، لكان في الوجود روح بلا جسم، أو جسم بلا روح، وهذا لا يوجد أصلا، فلا بدّ من تكرارهما.

إفصاح

فأقول: قال الله - تعالى- في اليوم المشهود في العامّة، المعروف عند الكافة: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (الزمر: ٥).

وكان حساب العجم تقديم النهار على الليل، وزمانهم شمسي. فآيات بني إسرائيل ظاهرة، وكانت فيهم العجائب.

وقال تعالى في بلعام بن باعورا: ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ (الأعراف: ١٧٥). فدلّ أنها كانت عليه في الظاهر كالثوب. فإنه أعطى الحرُوف، فكان يفعل بالخاصية لا بالصدق[٢٦]. فليلة السبت عندهم هي الليلة التي يكون في صبحها يوم الأحد، وكذا باقي أيّام الجمعة.

وكان حساب عامّة العرب في تقديم الليل على النهار، وزمانهم قمري، فآياتهم ممحوّة من ظواهرهم، مصروفة إلى بواطنهم. واختصوا من بين سائر الأمم بالتجليات، وقيل فيهم: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ﴾ (المجادلة: ٢٢)، في مقابلة

قوله: ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ (الأعراف: ١٧٥). فالصدق لنا. ولـمّا كان في الخضر قوّة عربيّة للحوقه بنا، لهذا ما عثر صاحبه على السرّ الذي منه حَكم بما حَكم[٢٧].

فليلة السبت عندنا هي الليلة التي يكون في صبيحتها يوم السبت. وعامّتنا- أعنى الدولة العربية- أقرب إلى العلم من العجم[٢٨]، فإنه يعضدُهم السلخ في هذا النظر الذي عوّلوا عليه، غير أنهم لم يعرفوا الحُكم، فنسبوا الليلة إلى غير يومها، كما فعل أيضا أصحاب الشمس في ذلك، لأنهم لا يعرفون سوى أيّام التكوير. وأيّام السلخ يعرفها العارفون. وأيّام الإيلاج يعلمها العلماء الحكماء وارثوا الأنبياء- صلوات الله عليهم أجمعين-.

تتميم

قال الله – تعالى-: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ (يس: ٣٧).

اعلم أنّه لّما كانت الأيّام شيئا، كان لها ظاهر وباطن، وغيب وشهادة، وروح وجسم، ومُلك وملكوت، ولطيف وكثيف. فكان لليوم نهار وليل في مقابلة الظاهر والباطن. وهي سبعة أيّام، فلكلّ يوم نهار وليل من جنسه؛ وأنّ النهار هو ظل ذلك الليل، وهو على صورته في الحُكم. ولكن الحقيقة أنّ كلّ يوم مولج في أيّام الأسبوع، كما قلنا إن الأيّام مولجة في اليوم الواحد. فقد قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ (فاطر: ١٣). فيدخل هذا في هذا وهذا في هذا، على ما سنذكر إن شاء الله تعالى.

وإنما جعلنا النهار ظلا لليل، لأنّ الليل هو الأصل. وكذلك الجسم هو الأصل، فإنه بَعد التسوية انسلخ منه النهار عند النفخ، فكان مُدرَجا فيه من

أجل الحجاب. فلمّا أحسّ بالنفخة الإلهيّة سارع إليها فظهر، فكان مسلوخا منه. وقد تكلمنا في "كتاب الجلالة" على شرف البصر الحسِّي على العقل[٢٩]. وتضيق هذه الأوراق عن تبيين معنى تولّد الرّوح، وقد ذكرنا هذا فى "كتاب النشأة"، وبيّنا فيه أنه يولد كما يولد الجسد، ورتّبناه ترتيبا عجيبا، فلينظر هناك.

ولّما قال الله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ (يس: ٣٧)، لم يتبيّن أيّ نهار سلخ منه أيّة ليلة، ولم يقل ليلة كذا سلخ منها نهار كذا، لكن أرْسلها مجملة ليفصّلها من ألهمه الله من العلم بذلك من عباده، إنه منعم كريم. وهذا هو فصل الخطاب، والحكمة: فصلُ الفصل. فكلامنا في السلخ من باب فصل الخطاب، وكلامنا في الإيلاج من باب الحكمة التي هى فصل فى الفصل[٣٠].

فأقول على مفهوم من اللسان العربي، بالحساب القمري، من تقديم الليل على النهار:

إنّ ليلة الأحد سُلِخ منها نهار الأربعاء. فالشأن الذي هو فيه في ليلة الأحد هو فيه في نهار الأربعاء.

وسلخ من ليلة الاثنين نهار الخميس، والشأن كالشأن.

وسلخ الله من ليلة الثلاثاء نهار الجمعة، والشأن هو الشأن.

وسلخ ليلة الأربعاء نهار السبت، وشأن هذا شأن هذا.

وسلخ من ليلة الخميس نهار الأحد، والشأن الشأن.

وسلخ من ليلة الجمعة نهار الاثنين، والشأن الشأن.

وسلخ من ليلة السبت نهار الثلاثاء، والشأن الذي يفعله في ليلة السبت يفعله في نهار الثلاثاء[٣١]. وفرغ الأسبوع.

فجعل سبحانه بين كل ليلة ونهارها المسلوخ منها ثلاث ليال وثلاثة نهارات، فكانت ستة، وهي نشأتك يا أخي ذات الجهات الست. فالليالي منها للتحت والشمال والخلف؛ والنهار منها للفوق واليمين والأمام. فلا يكون الإنسان نهارا ونورا تشرق شمسه، وتشرق به أرْضه، حتى ينسلخ من ليلة شهوته. ولا يُقبِل على مَن لا يَقبَل الجهات حتى يتنزّه عن جهات هيكله، كما بَعُد هذا النهار من ليله بثلاث ليال وثلاثة نهارات، وحينئذ أشرق وظهر وحكم وشاهد وشوهد.

فمن أَرَاد أنْ يتحقق، فلينظر فيما ذكرناه ونبهنا عليه، نظر منصف. وإنما تشاهد النسبة من جهة الاشتراك بينهما في الشأن، وأنّ الله قد ربط الفعل هكذا. والحُكم لأوّل ساعة من الليل، ولأوّل ساعة من النهار. فنُسِبت الليلة لوكيل السّاعة الأولى منها الذي وكّله الله بها، وهو روحها، وكذلك النهار. فلهذا نسبناه هذه النسبة.

تكْمِلَة

ولمّا استوفينا البيان في آية السلخ، فلنذكر الإيلاج.

قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ (لقمان: ٢٩).

اليوم عندنا أربعة وعشرون ساعة. وإذا كان اليوم قد أخبر الله تعالى أنه فيه: "في شأن"، ولم يقل: "في شؤون"، علمنا أنّ ساعاته تحت حُكم واحد، وتحت نظر والي حاكم واحد قد وَلاّه الله وتوَلاّه وخصّه بتلك الحركة

وجعله أميرا. فيوْمنا الصحيح، إنما هو ما تكون ساعاته كلها سواء(٣٢)، فإن اختلفت فليس بيوم واحد. فطلبنا هذا من جهة الحُكم في يوم السلخ، فلم نجده إلا قليلا(٣٣). وأمّا يوم التكوير فبعيد من ذلك(٣٤). فنظرنا يوم الإيلاج فوجدنا مطلوبنا فيه مستوفى، وأرسله الحق مطلقا، ولم يقل: يولج الليل الذي صبيحته الأحد في الأحد، ولا النهار الذي مساؤه ليلة الاثنين أولجه فى ليلة الاثنين. فلا يلزم أنّ ليلة الأحد هي ليلة التكوير، ولا ليلة السلخ.

وإنما يطلب وحدانية اليوم من أجل أحدية الشأن، ولتقدّم الليل، ونبني على ساعته الأولى، وننظر حاكمها الذي ولاّه الله عليها ما له من ساعات تلك الليلة ونهارها إلى آخر الأسبوع. فإنا ستجد له أربعة وعشرين ساعة، فنجعلها يوما كاملا، وهو يوم الشأن.

ثم نعدل إلى الليلة الأخرى، حتى تكمل سبعة أيّام متميّزة بعضها من بعض، مولجة بعضها في بعض، نهارها في ليلها، وليلها في نهارها، لحكمة التوالد والتناسل، وذلك لسريان الحكم الواحد في الأيّام، ونمَشِّيها على الساعات للتقريب، كما مشّينا ما تقدّم على درجات السنة.

فأقول على الأيّام المعروفة عند العامّة وهي أيّام التكوير:

ونبتدئ بيوم الأحد تبركا بالاسم، فإنه من صفات الحق، وله الأوّلوية، وله القلب، فقد جمع الشرف من وجوه لا توجد فى غيره. ونبدأ بليله قبل نهاره، لأنِّي عربي بدري(٣٥)، وعلى ذلك الحساب عينه يكون العجمي.

فلتعلم أنّ ليلة يوم الأحد الأيلاجي مُركّبة من(٣٦):

<u>(تنبيه: كلمة "يوم" في الفقرَات التالية يعني الشيخ بها "نهار"):</u>

الساعة الأولى من ليلة الخميس والثامنة منها، والثالثة من يوم الخميس والعاشرة منها، والخامسة من ليلة الجمعة والثانية عشرة منها، والسابعة من يوم الجمعة، والثانية من ليلة السبت والتاسعة منها، والرابعة من يوم السبت والحادية عشرة منها، والسادسة من ليلة الأحد. فهذه ساعات ليله.

وأمّا ساعات نهاره من أيّام التكوير كما قلنا:

فالساعة الأولى من يوم الأحد من أيّام التكوير والثامنة منه والثالثة من ليلة الاثنين والعاشرة منه، والخامسة من يوم الاثنين والثانية عشرة منه، والسابعة من ليلة الثلاثاء والثانية من يوم الثلاثاء والتاسعة منه، والرابعة من ليلة الأربعاء والحادية عشرة منها، والسادسة من يوم الأربعاء.

فهذا يوم الأحد الإيلاجي الشأني، قد كمل بأربع وعشرين ساعة كلها كنفس واحدة لأنها من معدن واحد، وتتنوع في الموجودات بحسب استعداداتها فتتكثر بتكثر الأشخاص، وتتنوّع بحسب الاستعدادات.

فإن في هذا اليوم يوحى الله إلى النفس الواحدة الكلّية أنْ تحرّك ركن النار لتسخن العالم. ثمّ يأمر سبحانه روحانية الفلك الرّابع بمساعدتها، فيتحرّك الأثر فيسخن العالم. فمن كان قابلا للحرق احترق، ومن كان قابلا للسخانة سخن. وكذلك أمر روحانية الفلك السابع بالمساعدة، فساعدها بنصف قوته. وساعدتها روحانية الفلك الخامس بقوّتها. وساعدتها روحانية الفلك السادس بنصف قوّتها. وساعدتها روحانية الفلك الثاني برُبُع قوّتها. ولم يكن لروحانية الفلك الأوّل والفلك الثالث هنا مساعدة.

ومن شأن هذا اليوم سَرَت الأرواح في الروحانيات، والحركات في المتحرّكات. فهذا من شأن هذا اليوم الذي هو فيه[٣٧].

وأمّا ليلة الاثنين الايلاجى الشأني فمركّبة من:

الساعة الأولى من ليلة الجمعة والثامنة منها، والثالثة من يوم الجمعة والعاشرة منها، والخامسة من ليلة السبت والثانية عشرة منها، والسابعة من يوم السبت، والثانية من ليلة الأحد والتاسعة منها، والرابعة من يومّ الأحد والحادية عشرة منه، والسادسة من ليلة السبت. فهذه ساعات ليله من أيّام التكوير.

وأما ساعات نهاره فمركبة من: الساعة الأولى من يوم الاثنين والثامنة منه، والثالثة من ليلة الثلاثاء والعاشرة منها، والخامسة من يوم الثلاثاء الثانية عشرة منه، والسابعة من ليلة الأربعاء، والثانية من يوم الأربعاء والتاسعة منه، والرابعة من ليلة الخميس.

فهذه أربع وعشرون ساعة، أبرزتها من أيّام التكوير لظهور يوم الاثنين الإيلاجي، فظهر والحمد لله. والشأن فيه واحد. وهو أنّ الله – سبحانه– أوحى إلى النفس الواحدة أنْ تمدّ المُوَلّدات بركن العُصارات، وأمر لروحانيات الأفلاك أنْ تساعدها. فمنهم من هو تحت شأن هذا اليوم بوجوهه كلها، أو بوجه مّا. فساعدها الأوّل والثالث بكلّيته. وساعدها الثاني برُبعه في هبوطه، وبرُبعه الثاني في سيره لهبوطه. وساعدها السادس بنصف قوّته في هبوطه، وكذلك السابع. ولم يساعدها الرّابع والخامس.

ومِن شأن هذا اليوم ينمو كلّ جسم ويزيد. ومن شأن هذا اليوم هبوب الرّياح الممطرات، ولا تقوى فيه الحركات[٣٨].

وأمّا ليلة يوم الثلاثاء الايلاجى الشأني فمُرَكبة من:

الساعة الأولى من ليلة السبت والثامنة منها، والثالثة من يوم السبت والعاشرة منه، والخامسة من ليلة الأحد والثانية عشرة منها، والسابعة من يوم الأحد، والثانية من ليلة الاثنين والتاسعة منها، والرابعة من يوم الاثنين والحادية عشرة منه، والسادسة عن ليلة الثلاثاء. فهذه ساعات ليلته من أيّام التكوير.

وأمّا ساعات نهاره فمركّبة من:

الساعة الأولى من يوم الثلاثاء والثامنة منه، والثالثة من ليلة الأربعاء والعاشرة منها، والخامسة من يوم الأربعاء والثانية عشرة منه، والسابعة من ليلة الخميس، والثانية من يوم الخميس والتاسعة منه، والرابعة من ليلة الجمعة والحادية عشرة منها، والسادسة من يوم الأحد.

فهذا هو يوم الثلاثاء قد أنشأه الله من ساعاته التي كان الولوج بدّدها في الأيّام السبعة أيّام التكوير. فمن حافظ عليها عرف الشأن الذي لله فيها، الذي أوحى الله به للنفس الواحدة، فأرْسلتْ قوّتها الفعّالة فظهر بلطيف الأهوية السخيفات. وساعدتها من الأرواح الفلكية عن أمر الحق والحدّ الإلهي المشروع لهم في حقائقهم ما بينها وبين ذلك مناسبة، إمّا من جميع الوجوه، أو من وجه، أو من وجهين: فأمّا الأول والثالث فلا مساعدة لهما هنا. وأمّا السابع فساعدها بنصف قوّته في أوجه، وكذلك السادس. وساعدها الرّابع بقواه كلها، وساعدها برُبع قوّته في أوجه، وبرُبعها في صعوده.

ومن أحكام شأن هذا اليوم إظهار الحميّات، وانتشار الغضب والفتن، وأشياء من هذا الفنّ. هذا شأنها، والغرض الاختصار. وإنّا قد استوفينا هذه الشؤون في كتاب "الجداول والدوائر" مضروب الأشكال[٣٩].

وأما ليلة يوم الأربعاء الشأني الايلاجى فمركبة من:

السّاعة الأولى من ليلة الأحد والثامنة منه، والثالثة من يوم الأحد والعاشرة منه، والخامسة من ليلة الاثنين والثانية عشرة منها، والسابعة من يوم الاثنين، والثانية من ليلة الثلاثاء والتاسعة منها، والرّابعة من يوم الثلاثاء والحادية عشرة منه، والسادسة من ليلة الأربعاء. فهذه ساعات ليله.

وأمّا ساعات نهاره فمركبة من:

الساعة الأولى من يوم الأربعاء من أيّام التكوير والثامنة منه، والثالثة من ليلة الخميس والعاشرة منها، والخامسة من يوم الخميس والثانية عشرة منه، والسابعة من ليلة الجمعة، والثانية من الجمعة والتاسعة منه، والرابعة من ليلة السبت والحادية عشرة منها، والسادسة من يوم السبت.

فهذا يوم الأربعاء قد استوفينا ساعاته من أيّام التكوير ثم الشأن الكلى الذى فيه: تمزيج البخار الرّطب بالبخار اليابس. أمر الله تعالى النظر للنفس بهذا التمزيج، وأمر روحانيات الأفلاك أن تساعدها بما فيها من القوّة المناسبة لروحانية هذا. فما بقيت روحانية إلاّ ساعدت، وينبني على هذا علم كثير.

وأمّا ليلة يوم الخميس الايلاجى الشأني فمركبة من:

الساعة الأولى من ليلة الاثنين والثامنة منها، والثالثة من يوم الاثنين والعاشرة منه، والخامسة من ليلة الثلاثاء والثانية عشرة منها، والسابعة من

يوم الثلاثاء، والثانية من ليلة الأربعاء والتاسعة منها، والرابعة من يوم الأربعاء والحادية عشرة منه، والسادسة من ليلة الخميس.

وأمّا نهاره فمركّب ساعاته من:

الساعة الأولى من يوم الخميس من أيّام التكوير والثامنة منه، والثالثة من ليلة الجمعة والعاشرة منها، والخامسة من يوم الجمعة والثانية عشرة منه، والسابعة من ليلة السبت، والثانية من يوم السبت والتاسعة منه، والرابعة من ليلة الأحد والحادية عشرة منها، والسادسة من يوم الأحد.

فهذا يوم الخميس قد أتممنا نشأته من ساعات أيّام التكوير. والشأن الإلهي فيه السيلان والتحليل. أَمَر الله تعالى روحانيات الأفلاك مساعدة النفس في هذا الشأن، فساعدها الفلك الأوّل بنصف قوّته، وكذلك جميع روحانيات الأفلاك ساعدوها بنصف قواهم، إلاّ الفلك السابع. وأمّا السادس فساعد بقوته كلها. وإذا تقرّب العشاق الذين حنّوا في هواهم إلى هيكل هذا اليوم بما يليق به من الدّعوات والصدقات، ويلجؤون فيه إلى الله، فالشأن برّه وتحليل ما يعقد من أمره.

وقد ذكرنا هذا فى كتاب الهياكل، وثمّ تكلمنا فى شأن هذه الأيّام علي الاستيفاء، وهو كتاب شريف[٤١].

و أما ليلة الجمعة فمركبة من:

الساعة الأولى من ليلة الثلاثاء والثامنة منها، والثالثة من يوم الثلاثاء والعاشرة منه، والخامسة من ليلة الأربعاء والثانية عشرة منها، والسابعة من يوم الأربعاء، والثانية من ليلة الخميس والتاسعة منها، والرابعة من يوم الخميس والحادية عشرة منه، والسادسة من ليلة الجمعة.

وأمّا ساعات نهاره فمركبة من:

الساعة الأولى يوم الجمعة والثامنة منه، والثالثة من ليلة السبت والعاشرة منها، والخامسة من يوم السبت والثانية عشرة منه، والسابعة من ليلة يوم الأحد والثانية من يوم الأحد والتاسعة منه، والرابعة من ليلة الاثنين والحادية عشرة منها، والسادسة من يوم الاثنين

فهذا قد كمل يوم الجمعة. والشأن في هذا اليوم تقطير ما رطب من ركن البخار بمساعدة روحانية الفلك الثالث، والأوّل للنفس الكلية عن القول الإلهي بقوّتيهما. وساعدها الثاني بنصف قوّته فى هبوطه، وكذلك السادس والسابع[٤٢].

وقصدنا الشأن الواحد الأصلي في كلّ يوم، وعنه تكون الشؤون، لكن بالقول الإلهي، وتوجّه الإرادة لا بمباشرة ولا بمعالجة ولا بمحاولة، بل كما أخبر عن نفسه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (النمل: ٤٠). فالقول يتوجّه، والمرَاد يتكوّن. سبحان العليم القدير.

وأمّا ليلة يوم السبت، وهو آخر أيّام الأسبوع، فمركّبة ساعاتها من:

الساعة الأولى من ليلة الأربعاء والثامنة منها، والثالثة من يوم الأربعاء والعاشرة منه، والخامسة من ليلة الخميس والثانية عشرة منها، والسابعة من يوم الخميس، والثانية من ليلة الجمعة والتاسعة منها، والرابعة من يوم الجمعة والحادية عشرة منه، والسادسة يوم السبت.

وأما نهاره فمؤلّفة ساعاته من:

الساعة الأولى من يوم السبت من أيّام التكوير والثامنة منه،

والثالثة من ليلة الأحد والعاشرة منها، والخامسة من يوم الأحد والثانية عشرة منه، والسابعة عن ليلة الاثنين، والثانية من يوم الاثنين والتاسعة منه، والرابعة من ليلة الثلاثاء والحادية عشرة منها، والسادسة من يوم الثلاثاء.

فهذا يوم السبت الإيلاجى قد كملت بنيته. والشأن الإلهي فيه حفظ صور بقاء العالم وإمساكها وسكونها، بمساعدة قوة روحانية الفلك السابع للنفس المأمورة بذلك والموكلة به، ونصف قوى روحانيات الأفلاك، إلا الفلك السادس(٤٣).

وقد انتهت المقالة في تعيين أيّام الشأن، وفي الشأن الجامع للشؤون. والحمد لله.

لاحقة

لا يزال الخالق في شأن، فلا تزال هذه الأيّام دائمة أبدا، ولا يزال الأثر والانفعال في الدنيا والآخرة. وقد أثبت الحق تعالى دوام هذه الأيّام فقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (هود: ١٠٧)، وخلودهم لا يزال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار. فالسماوات والأرض لا تزال، والأيّام دائرة فيها أبدا بالتكوين: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ (النساء: ٥٦).

فالكون والفساد فيها دائم مستمرّ، والتسعة عشرة عليها طالعة وغاربة(٤٤). ومقعّر هذا الفلك هو سقف النار، نعوذ بالله منه. وسطح هذا الفلك هو أرض الجنة(٤٥)، والعرش سقفها، وهو روح هذه الأيّام، كما قد

ذكرنا في أوّل الجزء أنّ لها أرواحا. فتكون في الجنة أيّام بحركة هذا الفلك بعينه، وهى الأيّام التي خلق الله فيها السماوات والأرض. وأيّام أهل النار الأيّام المعلومة الدنيوية المشهودة بالشمس. فهي في الجنات بعلامات مقدّرة تعرف بها الأوقات، وتعرف بها نتائج الأعمال الكائنات في أوقات أيّام الدنيا. قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: ٦٢).

فالكون لا يزال في الجنة محسوسا ومشاهدا، لأنها محسوسة؛ والاستحالات فيها من لذة إلى لذة، ومن نعيم إلى نعيم متجدّد: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ (البقرة: ٢٥). والتغيير فيها من صورة إلى صورة، ومن حسن إلى أحسن، ومن جمال إلى أجمل، ومن كمال إلى أكمل. وذلك لِما أودع الله من الأسرار في هذه الحركة الفلكية، ورتّب فيها من الحِكَم والآيات. والأخبار تعضد ما ذهبنا إليه، مثل قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ (الحاقة: ٢٤)، ومن أكل شيئا أزال نظم ذلك عن صورته إلى صورة أخرى، وهذا هو المعبر عنه بالفساد في الاصطلاح. وأمّا نحن فنفرّ من هذه اللفظة ومن لفظة التغيير، إلى التحويل أو التحليل والتركيب. فما استحال عينه كان تحويلا. وما تغيّر وصفه كان تحليلا أو تركيبا. وقد يتجوّز في التحليل إلى بقاء العين وتغيير الوصف.

وممّا يعضدنا من الأخبار الصحيحة عن الرسول -عليه السلام- أنّ ما يأكله أهل الجنة لا يتغوّطونه ولا يبولونه، ولكن هو عَرَق يخرج من أعراضهم- يعنى أبدانهم- أفوَح من المسك[٤٦]. وأين التفاحة ولحم الطير من العرق. فهذا تغيير وتكوين فى الجنة. فإنّ العرق تكوّن، ولحم الطير بالأكل تغيّر واستحال.

وكذلك التنوّع فى الصور التي يُدخل فيها في سوق الجنة[٤٧]، مثل تنوّع الأحوال علينا اليوم في بواطننا. ولا بد -عند المحققين- للعالم من هذا التحويل للمقام الإلهي الذي يعطيه، منها قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩). فهذا تحوّل من صورة إلى صورة، ومن أمر إلى أمر.

كما قال النبي -عليه السلام-: إذا تعوّذتْ من الله طائفة عندما يتجلى لها في غير الصورة التي تعرفه فيها، أنه يتحوّل لهم في الصورة التي يعرفون[٤٨]. فالتحوّل سار في العالم، لا بد منه. وتجسّد الرّوحانيات النارية والنورية غير منكور عندنا.

فالتنوعات والتبديلات ينبغي للعاقل أنْ لا ينكرها. وهل الشأن الذي هو الله فيه في كلّ يوم إلا مثل هذا. فإنّ لله في حق كل موجود في العالم شأنا. فانظر في هذا التوسّع الإلهي ما أعظمه.

فقد تبيّن أنّ الأيّام لا تزال أبدا، والشأن لا يزال أبدا. فلا بد أنْ يكون الانفعال لا يزال أبدا. وفي قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ (الرحمن: ٣١): ترتيب الفعل.

ويكفي هذا القدر في الأيّام، فإنّ فيه غنية.

وأمّا "يوم المِثْل" الذي هو من سبعة آلاف سنة[٤٩]،

و"يوم الرّب" الذي هو ألف سنة،

و"يوم معرَاج الهو" الذي هو من خمسين ألف سنة[٥٠]،

و"يوم القمر" الذي هو من ثمانية وعشرين يوما،

و"يوم الشمس" الذي هو سنة كاملة،

و"يوم زحل" على التقريب الذي هو من ثلاثين سنة،

وكذلك سائر "أيّام البروج" الذي هو "عمر الدهر"[٥١].

و"يوم المِثل" هو "يوم السنبلة"، ونحن على آخر اليوم، وأوّل "يوم الميزان" وهو من ستة آلاف سنة[٥٢]،

فمذكور هذا كله فى الفتوحات المكية، فإنّ هذه العجالة لا تحتملها لضيق الوقت.

والله ينفعنا بالعلم، ويؤيّدنا بالعين[٥٣]. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[٥٤].

انتهى كتاب "أيّام الشأن"

الشرُوح والتعقيبات

١) في الفصل التاسع عشر من الباب ١٩٨من الفتوحات تكلم الشيخ عن هذا الفلك المحيط فقال:

[في الاسم "الغني" وتوجّهه على إيجاد الفلك الأطلس، وهو فلك البروج، واستعانته بالاسم "الدهر"، وإيجاد حرف الجيم من الحروف،والطرف من المنازل: اعلم أنّ هذا الاسم جعل هذا الفلك أطلس لا كوكب فيه، متماثل الأجزاء، مستدير الشكل، لا تعرف لحركته بداية ولا نهاية، وما له طرف. بوجوده حدثت الأيّام السبعة، والشهور والسنون، ولكن ما تعيّنت هذه الأزمنة فيه إلا بعد ما خلق الله في جوفه من العلامات التي ميّزت هذه الأزمنة. وما عيّن منها هذا الفلك سوى يوم واحد، وهي دورة واحدة عيّنها مكان القَدَم من الكرسي (يشير الشيخ هنا إلى قدَم الصدق الجمالية الجنانية، وتقابلها قدَم الجبّار الجلالية الجهنمية، لأنّ الأمر الإلهي الواحد المتنزل من العرش الرحماني يتثنى عند الكرسيّ، وهو سور الأعراف في الآخرة الفاصل بين الجنان العلوية والنيران السفلية؛ ومظهره المحسوس الفلك المكوكب)، فتعيّنت مِن أعلى. فذلك القدر يسمّى يوما، وما عرف هذا اليوم إلا الله تعالى، لتماثل أجزاء هذا الفلك، وأوّل ابتداء حركته. وكان ابتداء حركته وأوّل درجة من برج الجوزاء يقابل هذا القَدم، وهو من البروج الهوائية.

فأوّل يوم في العالم ظهر كان بأوّل درجة من الجوزاء، ويسمّى ذلك اليوم الأحد. فلمّا انتهى ذلك الجزء المعيّن عند الله من هذا الفلك إلى مقارنة ذلك

القدم من الكرسي،انقضت دورة واحدة هي المجموع، قابلت أجزاء هذا الفلك كلها من الكرسي موضع القدم منه، فعمّت تلك الحركة كل درجة ودقيقة وثانية وما فوق ذلك في هذا الفلك. فظهرت الأحياز، وثبت وجود الجوْهر الفرد المتحيّز الذي لا يقبل القسمة، من حركة هذا الفلك.

ثم ابتدأ عند هذه النهاية بانتقال آخر في الوسط أيضا، إلى أن بلغ الغاية مثل الحركة الأولى بجميع ما فيه من الأجزاء الأفراد التي تألف منها، لأنه ذو كمّيات. وتسمّى هذه الحركة الثانية يوم الاثنين. إلى أن كمل سبع حركات دورية، كل حركة عيّنتها صفة إلهية، والصفات سبع لا تزيد على ذلك، فلم يتمكن أن يزيد الدهر على سبعة أيّام يوما، فإنه ما ثم ما يوجبه. فعاد الحُكم إلى الصفة الأولى فأدارته، ومشى عليه اسم "الأحد". وكان الأوْلى بالنظر إلى الدورات أن تكون ثامنة، لكن لمّا كان وجودها عن الصفة الأولى عيْنها، لم يتغيّر عليها اسمها. وهكذا الدورة التي تليها إلى سبع دورات. ثم يبتدئ الحُكم كما كان أوّل مرّة عن تلك الصفة، ويتبعها ذلك الاسم أبد الآبدين دنيا وآخرة بحُكم العزيز العليم.

فيوم الأحد عن صفة السمع، فلهذا ما في العالم إلا من يسمع الأمر الإلهي في حال عدمه بقوله: "كُنْ".

و يوم الاثنين وُجدت حركته عن صفة الحياة، وبه كانت الحياة في العالم، فما في العالم جزء إلا وهو حيّ.

ويوم الثلاثاء وُجدت حركته عن صفة البصر، فما في العالم جزء إلا وهو يشاهد خالقه من حيث عينه، لا من حيث عين خالقه.

ويوم الأربعاء وجدت حركته عن صفة الإرادة، فما في العالم جزء إلا وهو يقصد تعظيم موجده.

ويوم الخميس وجدت حركته عن صفة القدرة، فما في الوجود جزء إلا وهو متمكن من الثناء على موجده.

ويوم الجمعة وجدت حركته عن صفة العلم، فما في العالم جزء إلا وهو يعلم موجده من حيث ذاته، لا من حيث ذات موجده. وقيل إنما وُجد عن صفة العلم يوم الأربعاء، وهو صحيح، فإنه أراد علم العين وهو علم المشاهدة،والذي أردناه نحن إنما هو العلم الإلهي مطلقا، لا العلم المستفاد. وهذا القول الذي حكيناه أنه قيل، ما قاله لي أحد من البشر، بل قاله لي روح من الأرواح، فأجبته بهذا الجواب، فتوقف فألقي عليه أنّ الأمر كما ذكرناه.

ويوم السبت وجدت حركته عن صفة الكلام، فما في الوجود جزء إلا وهو يسبّح بحمد خالقه، ولكن لا نفقة تسبيحه، إنّ الله كانَ حَلِيماً غَفُوراً. فما في العالم جزء إلا وهو ناطق بتسبيح خالقه، عالم بما يسبّح به ممّا ينبغي لجلاله، قادر على ذلك، قاصد له على التعيين لا لسبب آخر. فمن وُجد عن سبب مشاهدة عظمة موجده حيّ القلب، سميع لأمره.

فتعيّنت الأيّام أن تكون سبعة لهذه الصفات وأحكامها. فظهر العالم حيّا سميعا بصيرا عالما مريدا قادرا متكلما؛ فعمله على شاكلته كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (الإسراء: ٨٤)، والعالم عمله، فظهر بصفات الحق (...) فلا يزاد في الأيّام السبعة ولا ينقص منها.

وليس يعرف هذه الأيّام كما بيّناها إلا العالَم الذي فوق الفلك الأطلس، لأنهم شاهدوا التوجّهات الإلهيات من هناك على إيجاد هذه الأدوار، وميّزوا

بين التوجّهات، فانحصرت لهم في سبعة، ثم عاد الحُكم، فعلموا النهاية في ذلك. وأمّا من تحت هذا الفلك فما علموا ذلك إلا بالجواري السبعة، ولا علموا تعيين اليوم إلا بفلك الشمس، حيث قسّمته الشمس إلى ليل ونهار. فعيّن الليل والنهار اليوم.

ثم إنّ الله تعالى جعل في هذا الفلك الأطلس حُكم التقسيم الذي ظهر في الكرسي، لمّا انقسمت الكلمة فيه بتدلي القدمين إليه، وهما خبر وحُكم. والحُكم خمسة أقسام: وجوب، وحظر، وإباحة، وندب، وكراهة، والخبر قسم واحد وهو ما لم يدخل تحت حكم واحد من هذه الأحكام. فإذا ضربت اثنين في ستة كان المجموع اثني عشر: ستة إلهية، وستة كونية لأنها على الصورة. فانقسم هذا الفلك الأطلس على اثني عشر قسما، عيّنها ما ذكرناه من انقسام الكلمة في الكرسي. وأعطى لكل قسم حُكما في العالم متناهيا إلى غاية، ثم تدور كما دارت الأيّام سواء إلى غير نهاية. فأعطى قسما منها اثنتي عشر ألف سنة، وهو قسم الحمل، كل سنة ثلاثمائة وستون دورة مضروبة في اثني عشر ألفا، فما اجتمع من ذلك فهو حُكم هذا القسم في العالم بتقدير العزيز العليم، الذي أوحى الله فيه من الأمر الإلهي الكائن في العالم. ثم تمشي على كل قسم بإسقاط ألف، حتى تنتهي إلى آخر قسم وهو الحوت، وهو الذي يلي الحمل. والعمل في كل قسم بالحساب كالعمل الذي ذكرناه في الحمل. فما اجتمع من ذلك فهو الغاية (مجموع أحكام دورة واحدة تامة لمجموع هذه البروج هو ٧٨٠٠٠ سنة)، ثم يعود الدور كما بدأ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩).

فالمتحرك ثابت العين، والمتجدّد إنما هي الحركة. فالحركة لا تعود عينها أبدا، لكن مثلها. والعين لا تنعدم أبدا، فإنّ الله قد حكم بإبقائها، فإنه أحبّ أن يُعرف، فلا بد من إبقاء أعين العارفين، وهم أجزاء العالم. وهذا الفلك هو سقف الجنة، وعن حركته يتكوّن في الجنة ما يتكوّن، وهو لا ينخرم نظمه، فالجنة لا تفني لذاتها أبدا، ولا يتخلل نعيمها ألم ولا تنغيص. وإن كانت طبائع أقسام هذا الفلك مختلفة، فما اختلفت إلا لكون الطبيعة فوقه، فحكمت عليه بما تعطيه من حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة. إلا أنه لمّا كان مُرَكبا ولم يكن بسيطا لم يظهر فيه حكم الطبيعة إلا بالتركيب، فتركب الناري من هذه الأقسام من حرارة ويبوسة، وتركب الترابي منها من برودة ويبوسة، وتركب الهوائي منها من حرارة ورطوبة، وتركب المائي منها من برودة ورطوبة. فظهرت على أربع مراتب، لأن الطبيعة لا تقبل منها إلا أربعة تركيبات، لكونها متضادة وغير متضادة على السواء، فلذلك لم تقبل إلا أربع تركيبات، كما هي في عينها على أربع لا غير.

وإن كانت الطبيعة في الحقيقة اثنين، لأنها عن النّفْس (يعني الشيخ النفس الكلّيّة الواحدة عند الحكماء، وهي اللوح المحفوظ بلسان الشرع) والنفس ذات قوّتين: عِلمية وعملية، فالطبيعة ذات حقيقتين فاعلتين من غير علم، فهي تفعل بعلم النفس لا بعلمها، إذ لا علم لها، فهي فاعلة بالطبع، غير موصوفة بالعلم. فهي من حيث الحرارة والبرودة فاعلة، ثم انفعلت اليبوسة عن الحرارة، والرطوبة عن البرودة. فكما كانت الحرارة تضاد البرودة، كان منفعل الحرارة يضاد منفعل البرودة، فلهذا ما تركب من المجموع سوى أربع، فظهر حكمها في أقسام هذا الفلك بتقدير العزيز العليم.

ثم جعلها على التثليث، كل ثلث أربع، فإذا ضربت ثلاثة في أربعة كان المجموع اثني عشر. فلكل برج ثلاثة أوجه مضروبة في أربعة أبراج كان المجموع اثني عشر وجها. والأربعة الأبراج قد عمّت تركيب الطبائع، لأنها منحصرة في ناري وترابي وهوائي ومائي. فإذا ضربت ثلاث مراتب في اثني عشر وجها كان المجموع ستة وثلاثين وجها، وهو عُشر الدُرُج أي جزء من عشرة، والعشرة آخر نهاية الأحقاب، والحقبة السنة. فأرجو أن يكون المآل إلى رحمة الله في أي دار شاء. فإنّ المراد أن تعمّ الرحمة الجميع حيث كانوا. فيحيي الجميع بعد ما كان منه من لا يموت ولا يحيا، وذلك حال البرزخ.

واعلم أنّ هذا الفلك يقطع بحركته في الكرسي كما يقطعه من دونه من الأفلاك. ولّما كان الكرسي موضع القدمين، لم يعط في الآخرة إلا دارين: نارا وجنة. فإنه أعطى بالقومين فلكين: فلك البروج، وفلك المنازل الذي هو أرض الجنة، وهما باقيان. وما دون فلك المنازل يخرب نظامه، وتبدّل صورته، ويزول ضوء كواكبه كما قال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ (إبراهيم: ٤٨) وقال: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (المرسلات: ٨). فما ذكر من السماوات إلا المعروفة بالسماوات، وهي السبع السماوات خاصة.

وأمّا مقعر فلك المنازل فهو سقف النار. ومن فعل هاتين القدمين في هذا الفلك ظهر في العالم من كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ بتقدير العزيز، لوجود حكم الفاعلين من الطبيعة، والقوّتين من النفس، والوجهين من العقل (يعني الشيخ العقل الأول عند الحكماء، وهو القلم الأعلى بلسان الشرع، والوجهان هما وجه إقباله إلى الحق تعالى، ووجه إدباره نحو اللوح ليسطر فيه ما كلّفه الحق تعالى بتسطيره)، والحرفين من الكلمة الإلهية: "كن"، من

الصفتين الإلهية في: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ - وهي الصفة الواحدة- ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) وهي الصفة الأخرى. فمَن نزه فمِن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ومَن شبّه فمِن: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فغيب وشهادة: غيب تنزيه، وشهادة تشبيه. فافهم إن كنت تفهم].

٢) في الباب ٣٤٨ من الفتوحات المتعلق بمنزل سورة "يس"، تكلم الشيخ عن مظاهر الليل والنهار عبر مراتب الوجود فقال:

[اعلم أنّ الله لمّا أعلمنا أنه هو الدهر، ذكر لنا سبحانه أنّ له أيّاما من كونه دهرا، وهي أيّام الله، فعيْن هذه الأيّام أحكام أسمائه تعالى في العالم. فلكلّ اسم أيّام، وهي زمان حُكم ذلك الاسم، والكل أيّام الله. وتفاصيل الدهر بالحكم في العالم. وهذه الأيّام تتوالج، ويدخل بعضها في بعض، ويغشى بعضها بعضا، وهو ما نراه في العالم من اختلاف الأحكام في الزمان الواحد، فذلك لتوالجها وغشيانها وتقليبها وتكررها.

ولهذه الأيّام الإلهية ليل ونهار. فليلها غيب، وهو ما غاب عنا منها، وهو عيْن حكمها في الأرواح العلويّة الكائنة فوق الطبيعة، والأرواح المهيّمة. ونهارها شهادة، وهو عيْن حكمها في الأجسام الطبيعية، إلى آخر جسم عنصري، وهي ما تحت الطبيعة. وسدفة هذا اليوم عيْن حكم هذه الأيّام في الأرواح المسخّرة التي تحت الطبيعة،وهم عمّار السماوات والأرض وما بينهما، وهم الصافون والتالون والمسبّحون،وهم على مقامات معلومة. فمنهم الزاجرات والمرسلات والمقسِّمات والمنقيات والنازعات والناشطات والمدبّرات، وغير ذلك مثل السائحين والعارجين والكاتبين والرّاقبين. كلّ هؤلاء تحت حكم أيّام الله من حيث سُدف هذه الأيّام.

فعن غشيان نهار هذه الأيّام ليلها وُجدت الأرواح التي فوق الطبيعة. وعن غشيان ليل هذه الأيّام نهارها وجدت الأجسام التي دون الطبيعة. وعن توالج ليلها بنهارها- فليس بنهار خالص لحكم الليل ومشاركته، وليس بليل خالص لحكم النهار ومشاركته، وهذا الحال لهذه الأيّام تسمى سدُفا- وُجد عن هذا التوالج الأرواح التي دون الطبيعة.

ولّما قسّم الله أيّامه هذه الأقسام، جعل ليلها ثلاثة أقسام، ونهارها ثلاثة أقسام. فهو سبحانه ينزل لعباده في الثلث الأخير من ليل أيّامه، وهو تجليه فيه للأرواح الطبيعية المدبّرة للأجسام العنصرية. والثلث الوسط يتجلى فيه للأرواح المسخّرة. والثلث الأوّل يتجلى فيه للأرواح المهيّمة.

وقسّم نهار هذه الأيّام إلى ثلاثة أقسام: يتجلى في كل قسم إلى عالم الأجسام من أجل ما هي مسبّحة بحمد الله دائما. ففي الثلث الأوّل يتجلى للأجسام اللطيفة التي لا تدركها الأبصار، وفي الثلث الوسط يتجلى للأجسام الشفافة، وفي الثلث الأخير يتجلى للأجسام الكثيفة. ولولا هذا التجلي ما صحّت لهم المعرفة بمن يسبّحونه، فإن المسبّح لا بدّ أن يكون له معرفة بمن يسبّحه. والمعرفة بالله لا يصح أن تكون عن فكر، ولا عن خبر، وإنما تكون عن تجليه لكل مسبّح. فمنهم العالِم بذلك، ومنهم من لا يعلم ذلك، ولا يعلم أنه سبّح عن معرفة تجلّ، وذلك ليس إلا لبعض الثقلين. وما عدا هذين، فهم عارفون بمن تجلى لهم، مسبّحون له على الشهود، أجساما عموما، وأرواحا خصوصا (...).

فإن قلت: فالليل والنهار في اليوم ما يُحدثه إلا طلوع الشمس وغروبها، فما الشمس التي أظهرت الليل والنهار في أيّام الله المسمّى دهرا؟ قلنا: اسمه

"النور" الذي ذكر أنه "نور السموات والأرض"، فله الطلوع والغروب علينا من خلف حجاب الإنسان المِثْلي، الذي ذكرنا أنه ظله المخلوق على صورته، الأزليّ الحُكم، الذي نفى عنه المِثلية وأثبت عين وجوده في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١) بكاف الصفة. فيسمّى ليله باطنا، ونهاره ظاهرا، فهو "الباطن" من حيث ليله، وهو "الظاهر" من حيث نوره. وذلك المِثل الإنساني يميّز طلوع هذا النور فيكون النهار، وغروب هذا النور فيكون الليل، وهو حُكم الظاهر والباطن في العالم. وقد قرّرنا أنه لكل اسم في العالم حكم قبل هذا.

فالدهر من حيث عينه يوم واحد لا يتعدد، ولا ليل له ولا نهار. فإذا أخذته الأسماء الإلهية عيّنت بأحكامها في هذا اليوم الأزلي الأبدي -الذي هو عين الدهر- الأيّام الإلهية التي أمر المذكِّر أن يذكِّرنا بها لنعرفها من أيّام الزمان، وأنه إذا أخذ الاسم "النور" في وجود الظل المِثلى المنزّه، وفي طلوعه على من فيه من العالم، سمّي العالَم الذي في هذا المِثل ذلك الطلوع إلى وقت غروبه عنهم نهارا، ومن وقت غروبه عنهم سمّوه ليلا. وذلك النور غير غائب عن ذلك الظل، كما أنّ الشمس غير غائبة عن الأرض في طلوعها وغروبها، وإنما تطلع وتغيب عن العالم الذي فيها. والظلام الحادث في الأرض إنما هو ظلال اتصالات ما فيها من العالم، فهو على الحقيقة ظل يسمّونه ظلاما. والذين يسمّونه ظلاما ممّن ليس له هذا الكشف يجعل ذلك ظلّ الأرض لِما هي عليه من الكثافة، وهي في المِثل الظلي الإلهي ظل أعيان عمّرته لا غير. فاعلم ذلك.

ثم جعل الله هذه الأيّام المعلومة عندنا التي أحدثتها حركة الأطلس، والليل والنهار اللذين أحدثتهما حركة القلب أعني الشمس، ليقدّر بها أحكام الأيّام الإلهية التي للأسماء، فهي كالموازين لها يعرف بها مقادير تلك الأيّام، فقال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: ٤٧). فإذا ضربت ثلاثمائة يوم وستين يوما في ألف سنة، فما خرج لك بعد الضرب من العدد فهو أيّام التقدير التي ليوم "الرّب"، فينقضي ثم ينشئ في الدهر يوما آخر لاسم آخر غير اسم "الرب". وكذلك يضرب ثلاثمائة يوم وستين يوما في خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فما خرج لك بعد الضرب من الأيّام فهو أيّام التقدير التي ليوم "ذِي الْمَعارِجِ" من الأسماء الإلهية. فإذا انقضى ذلك اليوم أنشأ في الدهر يوما آخر لاسم آخر غير الذي لذي المعارج. هكذا الأمر دائما، فلكل اسم إلهي يوم. وإنما ذكرنا هذين اليومين "يوم الرب" و"يوم ذي المعارج "، لكونهما جاءا في كتاب الله، فلا يقدر المؤمنون بذلك على إنكارهما. وما لم يرد إلا على ألسنتنا فلهم حكم الإنكار في ذلك. بل الأمر كما ذكرناه أنه ما من اسم إلهي ممّا يُعلم ويُجهل إلا وله يوم في الدهر، وتلك أيّام الله. والكل على الحقيقة أيّام الله، وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ.

فإذا نزلنا من الأسماء الإلهية إلى يوم العقل الأوّل، قسّمه حُكمه في النفس الكلية إلى ليل ونهار. فليل هذا اليوم عند النفس إعراض العقل عنها حين يقبل على ربه بالاستفادة، ونهاره عند هذه النفس حين يقبل عليها بالإفادة، فهو يومها. وجعل الله من هذا الحكم في النفس قوّتين: قوة علمية وهي ليلها في العالم الذي دونها، وقوّة عملية وهي النهار في العالم الذي دونها،

وهو المسمى غيبا وشهادة، وحرفا ومعنى، ومعقولا ومحسوسا. فهذا الحكم في النفس يوم لا نهار فيه ولا ليل، وهو في العالم نهار وليل.

وكذلك يوم "الهيولى الكل": ليلها جوهرها، ونهارها صورتها، وهي في نفسها يوم لا ليل فيه ولا نهار. وشمس كل ليل ونهاره هو المعنى المظهر لهذا الحكم، الذي به ينسب إلى هذا اليوم ليل ونهار.

فإذا نزلنا إلى فلك البروج، تعيّن في حركته اليوم. وعيّن ذلك الكرسي الذي تقطع فيه. فتعيينه من فوق، لأنه لم يكن ظهر في جوفه بعد ما تعيّن به حركته مستوفاة. فهو يوم لا نهار له ولا ليل، ولا مقدار أيّام من جهة مقعره، وهو متماثل الأجزاء، ما هو متماثل الأحكام. ولمّا كان الكرسي هو الذي أظهر فيه تعيين الأحكام بتعيين المقادير المسمّاة بروجا، وجعل لكلّ مقدار فيها مَلَكا معيّنا، تعيّنت المقادير بتلك الأحكام التي وليها ذلك المَلَك المعيّن. فإذا دار دورة واحدة سُمّيت من جهة الكرسي يوما. وكانت الكلمة في العرش واحدة مثل حكم اليوم. فلمّا وجد الكرسي تحت العرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، انقسمت في الكرسي تلك الكلمة الواحدة التي هي يوم العرش، فكانت قسمتها بالقدَمين اللتين تدلتا إلى هذا الكرسي، وهما "قدم الرب" و"قدم الجبّار". فكانتا أعني هاتين القدمين ليوم العرش كالنهار والليل اللذين قسّما اليوم. ويوم العرش أحدية كلمته، لأنّ أمر الله واحدة.

ثمّ إنّ الله أوجد فلك الكواكب الثابتة التي ميّزتها مقادير البروج. ولكل كوكب منها قطع في فلك البروج. فإذا قطعه الكوكب كله كان يوما واحدا من أيّام ذلك الكوكب مدة قطعه. وهو يقطع درجة من ثلاثمائة وستين

درجة في مائة سنة ممّا نعدّه من سنينا. ثم أوجد بين هذين الفلكين (أي بين فلك البروج وفلك الكواكب الثابتة) الجنة وما فيها ومن العالم ما لا يحصي عددهم إلا الله. ومن فلك البروج إلى آخر العالم الجسمي ظهر حكم البروج الهوائية والنارية والمائية والترابية في الفضاء الذي بين كل فلك وفلك].

٣) أفلاك الأرْكان الواقعة تحت فلك القمر هي: فلك الأثير الناري، وتحته فلك الهواء، وتحته فلك الماء، وتحته فلك التراب.

٤) المولّدات هي ما تولّد من نكاح الأفلاك العلويّة مع الأركان السفليّة، وهي المعادن والنبات والحيوان والجان والإنسان. لمعرفة آبائنا العلويّات وأمّهاتنا السفليات ينظر في الفتوحات الباب الحادي عشر.

٥) الرّوحانيات السيّارة هي الأرواح الملائكية المتلقية للأمر الإلهي الموحَى في السماوات السبعة، النازل من اللوح المحفوظ (وهو المسمّى عند الحكماء بالنفس الكلّيّة، ويسمّيه الشيخ في هذا الكتاب: النفس الواحدة، يشير إلى الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: ٩٨) إلى ملائكة العرش (ومظهره الخارجي المحسوس هو فلك البروج الأطلس)، ثم ملائكة الكرسي (ومظهره المحسوس هو فلك الكواكب الثابتة)، ثم ملائكة السماوات السبع (التي مظاهرها المحسوسة أفلاك الكواكب السيّارة السبعة: زحل ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم الكاتب عطارد ثم القمر). لمعرفة تفصيل هذا التنزل ينظر في الفتوحات الباب ٣٠٧ المتعلق بسورة المرسلات، وهو في معرفة منزل تنزل الملائكة على الموقف المحمدي من الحضرة الموسوية المحمدية.

٦) الأرض الأريضة هي الكثيرة العشب. وقرنها بيوم الأحد عند نزول الشمس بيت شرفها، لأنّ الروحانية الحاكمة على نهار الأحد هي روحانية السماء الرابعة التي مظهرها المحسوس فلك الشمس قلب الأفلاك ومنبع النور وأنفاس الحياة. وبيت شرف كل كوكب هو الدرجة الفلكية التي يكون فيها الكوكب في قمّة نشاطه المؤثر في الأركان الأرضية. وبيت شرف الشمس هو الدرجة التاسعة عشرة من برج الحمل الموافقة عادة إلى ما بين يومي الثامن والتاسع أفريل (أي نيسان) في فصل الرّبيع، وهي التي قرنها الشيخ بمنزل سورة يس قلب القرآن، وذلك في الباب ٩٠ من الفتوحات حيث يقول:

[وأمّا اختياره "يس" من القرآن فلأنها قلب القرآن، ومن قرأها كان كمن قرأ القرآن عشر مرات. والقلب أشرف ما في الصورة الصادية، كذلك السورة السينية، وهي المنزلة. ولها من الأبراج بيت شرف الشمس، وهو برج الأوّلية، زمان الربيع، إقبال النشء، وظهور البدء، وابتداء زينة عالم الطبيعة، وتلطيف بخارات الأنفاس التي كثفها زمان الشتاء لبرودة الجو].

وفي الباب ٣٧٣ من الفتوحات المتعلق بسورة القمر يقول:

[فإنّ اليوم دورة واحدة للفلك الأطلس، وقد انفصل بالليل والنهار بطلوع الشمس وغروبها. وأوّل اليوم الذي تعيّن بالأرض عند حركة الفلك كان بالحمل. ثم ظهر أوّل اليوم بطلوع الشمس إلى غروبها، ولم يكن لها وجود إلا في برج الحمل، فإنه بيت شرفها، فوُجدت طالعة في برج الحمل، فظهر أوّل اليوم، والصبح آخر اليوم، وما بينهما ليل ونهار، وهما معلومان بالطلوع والغروب، ولذلك ما أخذ الله من أخذه من الأمم إلا في آخر اليوم،

وذلك لاستيفاء الحركة، كما يُترَبّص بالعنّين انقضاء فصول السنة، وحينئذ يفرّق بينه وبين المرأة، أعني زوجته، لأنّ أسباب التأثير الإلهي المعتاد في الطبيعة قد مرّت على العنين وما أثّرت فيه، فدلّ أنّ العنة فيه لا تزول، فعُدِمت فائدة النكاح من لذة وتناسل، ففُرّق بينهما، إذ كان النكاح للالتذاذ والتناسل معا، أو في حق طائفة أخرى لكذا، وفي أخرى لكذا، وفي حق أخرى للمجموع. وكذلك إذا انتهت دورة اليوم وقع الأخذ الإلهي في آخره].

٧) ولد النبي- صلى الله عليه وسلم- يوم الاثنين، وفيه رَفع الحجر الأسود ليضعه في موضعه من الكعبة، وفيه استنبئ، وفيه خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة، وقدم إليها فيه، وتوفي فيه. يقول الشيخ في الباب الأخير من الفتوحات، أي الباب ٥٦٠ وهو باب الوصايا:

[وعليك بفعل البرّ في يوم الاثنين ويوم الخميس، فإنهما يومان تُعْرَض فيهما الأعمال على الله تعالى، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لا يترك صومهما، ويقول: "إني أحب أن يرفع عملي وأنا صائم"].

وفي الباب ٧١ المتعلق بأسرار الصوم يقول، وما بين قوسين توضيح لكلامه: [فيوم الاثنين لآدم صلوات الله عليه (لأنّه قطب أرواح السماء الدنيا الأولى، سماء فلك القمر، وروحانيتها هي الحاكمة على يوم الاثنين] ويوم الخميس لموسى صلى الله عليه وسلم[لأنه قطب السماء السادسة سماء فلك كوكب المشتري، وروحانيتها هي الحاكمة على يوم الخميس]. فجمع بين آدم ومحمد - صلى الله عليه وسلم- الجمعية في الأسماء، وجوامع الكلم. فكما أنّ آدم علم الأسماء كلها، كذلك محمد - صلى الله عليه وسلم- أوتي

جوامع الكلم، والأسماء من الكلم؛ فتلبس بيوم الاثنين الذي هو خاص بآدم لهذه المشاركة. وأمّا موسى فجمع بينه وبين محمد -صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين- الرّفق وهو الذي تطلبه الرحمة...] إلى آخر ما فصّله.

ومن باب الإشارة العددية والحرفية، فإنّ الاثنين هو عند الشيخ أوّل الأعداد، وهو في حساب الجمل عدد حرف الباء الذي هو عند الشيخ أوّل الحروف. وذلك وفق القاعدة الكلّيّة التي تنص على أنّ مبدأ كل عالم لا يندرج ضمن عالمه. فالنقطة لا تتحيّز في الفضاء إذ ليس لها أبعاد، لكن الفضاء كله ينشأ من تطوّرها. وكذلك الواحد بالنسبة للأعداد، والألف بالنسبة للحروف. وبالتالي فحرف الباء وعدده الاثنان مناسبان تماما لأوّل ظاهر في الوجود الخلقي، وهو الحقيقة المحمّدية التي من تطوّر أنوارها أنشأ الله تعالى الأكوان، كما فصّل الشيخ ذلك في كتابه "عنقاء مغرب"، وغيره من رسائل أخرى له. يقول الشيخ في الباب ٣٧٩ من الفتوحات المتعلق بسورة المائدة: [الواحد ليس من العدد، ولو كان الواحد من العدد ما صحّت الوترية جملة واحدة لا في العدد ولا في المعدود]. وفي الباب الثاني يقول عند تعريفه لكل حرف: [الألف ليس من الحروف عند من شمّ رائحة من الحقائق، ولكن قد سمّته العامّة حرفا. فإذا قال المحقق إنه حرف فإنما يقول ذلك على سبيل التجوّز في العبارة]. وفي الباب ٣٤٨ المتعلق بسورة "يس" يقول: [... لأن الثاني هو الباء، وهو المبدَع الأوّل- بفتح الدال- الظاهر عن الإنسان، الذي هو ظل الصورة الإلهية الذي لم يزل. فذلك هو الأوّل، لا أوّلية الحق، لأنّ أوّلية الحق لا تقبل الثاني، فإنّ الواحد ليس بعدد، وأوّل العدد الاثنان].

٨) العلاقة الخاصة بين سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- ويوم الثلاثاء لها مظهر يتعلق بالأخص بليلته، ومظهر آخر يتعلق بنهاره. فالروحانية الحاكمة على ليلة الثلاثاء في جميع ساعاتها، هي نفس الروحانية الحاكمة على نهار الجمعة المخصوص بالأمّة المحمدية كما هو مشهور، وفي مقدّمتها روحانية كوكب الزهرة الجمالي.وأمّا نهار الثلاثاء فالروحانية الحاكمة عليه هي لكوكب المريخ الأحمر المقاتل الجلالي القهري، وهي مناسبة لهيمنة دين الإسلام الخاتم وظهوره على غيره من الملل، بالحجة البالغة والجهاد في سبيل الله تعالى. وقد فصّل الشيخ ذلك في الباب ١٢ من الفتوحات، وفي كتابه "التنزلات الموصلية" عند كلامه عن اختصاص صلاة العشاء بيوم الثلاثاء، فافتتحه بهذه الأبيات:

سلام على يوم الثلاثاء إنه	له همّة خُصت بعشق محمد
له الدّرَج العالي إلى كلّ غاية	من العالم العلويّ في كلّ مشهد
به كان بأس الله في الكلّ ظاهرا	ولكنه في كلّ عضب مهنّد

ففي البيت الأول إشارة إلى أثر روحانية الزهرة، وفي البيت الأخير أشار بالبأس إلى معدن الحديد الذي هو المعدن المناسب لكوكب المريخ المقاتل، حسب تناسب المعادن السبعة الأساسية مع الكواكب السبعة كما سبق ذكره.قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّـهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّـهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥).

٩) اختصاص الأمة المحمدية بيوم الجمعة مشهور لا يحتاج إلى شرح، ويكفي فيه الحديث المشهور وافر الطرق الذي تلقاه علماء السنّة بالقبول،

وهو: قَالَ رَسُولُ اللهَّ – صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ": – أَتَانِي جِبْرِيلُ وَفِي يَدِهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟! قَالَ: هَذِهِ الجُمُعَةُ، يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ لِتكُونَ لَكَ عِيدًا وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، تكُونُ أَنْتَ الأَوَّلُ وَتكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ. فَقُلْتُ: مَا لَنَا فِيهَا؟ قَالَ: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، فِيهَا سَاعَةٌ مَنْ دَعَا اللهَّ فِيهَا بِخَيْرٍ، هُوَ قَسْمٌ لَهُ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، أَوْ لَيْسَ لَهُ بِقَسْمٍ إِلا ادَّخَرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمَ مِنْهُ. قُلْتُ: مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيهَا؟ قَالَ: هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الأَيَّامِ عِنْدَنَا، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ فِي الآخِرَةِ. قُلْتُ: وَمَا يَوْمُ الْمَزِيدِ؟ قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ حَفَّ الْكُرْسِيَّ بِمَنَابَرَ مِنْ نُورٍ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّونَ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا ثُمَّ حَفَّ الْمَنابِرَ بِكَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ جَاءَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكَثِيبِ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَهَذَا مَحَلُّ كَرَامَتِي. فَيَسْأَلُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، إِلَى أَوَانِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ يَصْعَدُ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَيَصْعَدُ مَعَهُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ، وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إِلَى غُرَفِهِمْ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ لا فَصْمٌ فِيهِ وَلا نَظْمٌ، أَوْ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ، أَوْ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ فِيهَا غُرَفُهَا وَأَبْوَابُهَا، مُطَّرِدَةٌ فِيهَا أَنْهَارُهَا، مُتَدَلِّلَةٌ فِيهَا أَثْمَارُهَا، فِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا، فَلَيْسُوا إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ

لِيَزْدَادُوا مِنْ كَرَامَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِيَزْدَادُوا نَظَرًا إِلَى وَجْهِهِ، فَلِذَلِكَ يُدْعَى يَوْمُ الْمَزِيدِ] انتهى.

والروحانية الحاكمة على نهار هذا اليوم الأشرف هي روحانية كوكب الزهرة في السماء الثالثة التي قطبها يوسف- عليه السلام-. وأمّا الأمّة الإسرائيلية فلها يوم السبت، وروحانية كوكبه زحل هي الحاكمة على نهاره، في السماء السابعة التي قطبها إبراهيم - عليه السلام-. وللأمة المسيحية يوم الأحد، وروحانية كوكبه الشمس هي الحاكمة على نهاره، في السماء الرابعة التي قطبها إدريس- عليه السلام-. يقول الشيخ في الباب٩٠ من الفتوحات، وما بين قوسين توضيح لكلام الشيخ): [وأمّا اختياره من الأيّام يوم الجمعة لأنّ فيه ظهرت الصورتان (يعني بهما الصورة الآدمية المخلوقة على صورة الرحمن، كما ورد ذلك في الحديث النبوي الثابت، وصورة العالم الذي اكتملت صورته بنفخ الروح فيه وهو آدم الخليفة المخلوق بيدي الحق تعالى بلا واسطة). وجعل الله ذلك اليوم للصوَر، وهو الشهر الخامس لمسقط النطفة (لأنّ الروحانية المدبّرة للنطفة في بطن المرأة خلا شهرها الأوّل هي روحانية كوكب زحل في فلك السماء الأولى نزولا من فوق، وللشهر الثاني المشتري، وللثالث المريخ، وللرّابع الشمس وفيه يكمل نفخ الروح فيه، وللخامس الزهرة، وللسادس الكاتب، وللسابع القمر ويمكن للمولود فيه أن يعيش، وللثامن زحل والمولود فيه لا يعيش في غالب الأحيان لغلبة البرودة واليبوسة على هذا الفلك، وفيه روح الموت ومقام عزرائيل ملك الموت، خلافا لفلك القمر السابق الذي طبعه مائي ورئيس ملائكته اسمه "المحيي"، ويولد المولود في شهره التاسع المناسب لروحانية

المشتري السعد الأكبر). وهو (أي يوم الجمعة الزّهرَائي) يوم مؤنث له الزينة وتمام الخلق. واختار الله فيه ساعة من ساعاته هي كالنكتة في المرْآة، وهو موضع صورة المتجلي من مرآة اليوم، فيرى فيها نفسه. وعلى الصورة الظاهرة بين المرآة والناظر فيها يقع الخطاب والتكليف]. انتهى.

وتكلم الشيخ في الباب ٧١ المتعلق بأسرار الصيام عن خصوصية يوم الجمعة فقال: [اعلم أنّ يوم الجمعة هو آخر أيّام الخلق، وفيه خلق من خلقه الله على الصورة وهو آدم- عليه السلام-، فيه ظهر كمال إتمام الخلق وغايته، وبه ظهر أكمل المخلوقات وهو الإنسان، وهو آخر الموَلدات، فحفظ الله به الاسم "الآخِر" على الحضرة الإلهية، وحفظه الله بالاسم"الآخِر"، فهو الذي ينظر إليه من الأسماء الإلهية. ولمّا جمع الله خلق الإنسان فيه، بما أنشأه تعالى عليه من الجمع بين الصورتين: صورة الحق وصورة العالم، سمّاه الله بلسان الشرع: "يوم الجمعة". ولمّا زيّنه الله بزينة الأسماء الإلهية وحلاّه بها، وأقامه خليفة فيها بها، فظهر بأحسن زينة إلهيّة في الكمال. وخصّه الله تعالى بأن جعله أوسع من رحمته تعالى، فإنّ رحمته لا تسعه سبحانه ولا تعود عليه، وإنّ محلّها الذي لها الأثر فيه إنما هو المخلوقون، ووسع القلبُ الحقّ سبحانه، فلهذا كان أوسع من رحمة الله. وهذا من أعجب الأشياء أنه مخلوق من رحمة الله، وهو أوسع منها. ومن كان مجلى كمال الحق، فلا زينة أعلى من زينة الله. فأطلق الله عليه اسما على ألسنة العرب في الجاهلية، وهو لفظ: "العروبة"، أي هو يوم الحسن والزينة (واسم يوم الجمعة عند العجم مشتق من اسم ربّة الحسن والجمال، أي روحانية الزهرة). فظهر الحق في كماليته في أكمل الخلق وهو آدم. فلم يكن في الأيّام أكمل من يوم الجمعة، فإنّ فيه ظهرت حكمة

الاقتدار بخلق الإنسان فيه، الذي خلقه الله على صورته، فلم يبق للاقتدار الإلهي كمال يخلقه إذ لا أكمل من صورة الحق. فلمّا كان أكمل الأيّام، وخلق فيه أكمل الموجودات، وخصه الله بالساعة التي ليست لغيره من الأيّام- والزمان كله ليس سوى هذه الأيّام- فلم تحصل هذه الساعة لشيء من الأزمان إلا ليوم الجمعة،وهي جزء من أربع وعشرين جزء من اليوم، وهي في النصف منه، وهو المعبّر عنه بالنهار. فهي في ظاهر اليوم، وفي باطن الإنسان. لأنّ ظاهر الإنسان يقابل باطن اليوم، وباطن الإنسان يقابل ظاهر اليوم. ألا تراه أُمِر في رمضان بالقيام بالليل، والقيام حُكم ظاهر الإنسان، فإنّ الظاهر منه هو المستريح بالنوم، وجعل الله اليوم له سباتا أي راحة. والليل محلّ التجلي الإلهي، والنزول الرباني، واستقبال هذا النزول بالقيام الكوني واجب في الطريق أدبًا إلهيّا. وهذا النزول في الليل يقوم مقام الساعة التي في نهار الجمعة. لكن النزول في كل ليلة، والساعة خاصة بيوم الجمعة، فإنها ساعة الكمال. والكمال لا يكون إلا واحدا في كل جنس، إن كان ذلك الجنس ممّن له استعداد الكمال، كاستعداد الإنسان، وما هو ثم ممّا قبله غير الإنسان. فالإنسان كامل بربّه لأجل الصورة، ويوم الجمعة كامل بالإنسان لكونه خُلق فيه. وما خلق فيه إلا في الساعة المذكورة فيه، فإنها أشرف ساعاته، والحكم فيها للروح الذي في السماء السادسة، وهي سماء العدل، والاعتدال صفات كمال الباطن. فإنّ سلطان هذا اليوم هو الروح الذي في السماء الثالثة، وله الاستبداد التام في يومه في الساعة الأولى منه والثامنة، فهو الحاكم بنفسه تجليا، وسائر ساعاته يجري حكمه فيه بنوّابه. والعلم أكمل الصفات، فخص الأكمل بالأكمل.... ولمّا كان الأمر على ما قرّرناه، كان

مَن أراد أن يصوم الجمعة يصوم يوما قبله أو يوما بعده، ولا يفرده بالصوم لِما ذكرناه من الشبه في صيام ذلك اليوم وقيام ليلته، إذ كان ليس كمثله يوم، فإنه خير يوم طلعت فيه الشمس. فما أحكم علم الشرع في كونه حَكم أن لا يُفرد بالصوم ولا ليلته بالقيام، تعظيما لرتبته على سائر الأيّام. وهو اليوم الذي اختلفت فيه الأمم فهدانا الله لِما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. فما بيّنه الله لأحد إلا لمحمد- صلى الله عليه وسلم - لمناسبته الكمالية، فإنه أكمل الأنبياء، ونحن أكمل الأمم. وسائر الأمم وأنبيائها ما أبان الحق لهم عنه، لأنهم لم يكونوا من المستعدّين له، لكونهم دون درجة الكمال. فأنبياؤهم دون محمد - صلى الله عليه وسلم-، وأممهم دوننا في كمالنا، فالحمد لله الذي اصطفانا. فنحن بحمد الله يوم الجمعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عين الساعة التي فيها، التي بها فضل يوم الجمعة على سائر الأيّام، كما فضلنا نحن بمحمد - صلى الله عليه وسلم- على سائر الأمم. وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ] انتهى.

بيّن الشيخ في كلامه هذا أنّ ساعة الإجابة يوم الجمعة هي الساعة الأخيرة من نهاره، وروحانيتها الحاكمة على يوم الجمعة هي روحانية كوكب الزهرة السعيدة مقترنة بنائبها روحانية كوكب المشتري السعد الأكبر.

١٠) يعني بأحسن الخلائق: أحسن الأخلاق، لقوله - صلى الله عليه وسلم-: [إنما بعثت لأتمم مكارم - وفي رواية: صالح- الأخلاق]- حديث صحيح رواه البخاري في "الأدب المفرد"،وابن سعد في"الطبقات" والحاكم وأحمد وابن عساكر في "تاريخ دمشق"، وغيرهم.

١١) للشيخ رسائل كثيرة ونصوص غزيرة في بيان مكانة الإنسان في الوجود. ونحيل لذكر ما يتعلق به إلى القسم الرابع من كتابنا: "الحقائق الوجودية الكبرى في رؤية ابن العربي"، وإلى كتابنا "الكمالات المحمدية والإنسان الكامل عند ابن العربي". ونكتفي هنا بما كتبه في في فص حكمة إلهية في كلمة آدمية من كتابه " فصوص الحكم "، حيث يقول ما خلاصته:

لّما شاء الحقّ سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى الّتي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها، وإن شئت قلت أن يرى عينه، في كون جامع يحصر الأمر كلّه لكونه متّصفا بالوجود، ويظهر به سرّه إليه؛ فإنّ رؤية الشّيء نفسه بنفسه ما هي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر له كالمرآة، فإنّه يظهر له نفسه في صورة يعطيها المحلّ المنظور ممّا لم يكن يظهر له من غير وجود هذا المحلّ ولا تجلّيه له. وقد كان الحقّ سبحانه أوجد العالم كلّه وجود شبح مسوّى لا روح فيه، فكان كمرآة غير مجلوّة. ومن شأن الحكم الإلهيّ أنّه ما سوّى محلاّ إلاّ ويقبل روحا إلهيّا عبّر عنه بالنّفخ، وما هو إلاّ حصول الاستعداد من تلك الصّورة المسوّاة لقبول فيض التجلّي الدّائم الّذي لم يزل ولا يزال. وما بقي إلاّ قابل، والقابل لا يكون إلاّ من فيضه الأقدس. فالأمر كلّه منه، ابتداؤه وانتهاؤه "وإليه يرجع الأمر كلّه"، كما ابتدأ منه. فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح تلك الصّورة. وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصّورة الّتي هي صورة العالم المعبّر عنه في اصطلاح القوم "بالإنسان الكبير"، فكانت الملائكة له كالقوى الرّوحانيّة والحسيّة الّتي في النّشأة الإنسانيّة. فكلّ قوّة منها محجوبة بنفسها لا ترى أفضل من ذاتها، وأنّ فيها فيما تزعم الأهليّة لكلّ منصب عال، ومنزلة

رفيعة عند الله، لِما عندها من الجمعيّة الإلهيّة ممّا يرجع من ذلك إلى الجناب الإلهي، وإلى جانب حقيقة الحقائق، وفي النّشأة الحاملة لهذه الأوصاف إلى ما تقتضيه الطّبيعة الكلّيّة الّتي حصرت قوابل العالم كلّه أعلاه وأسفله. وهذا لا يعرفه عقل بطريق نظر فكريّ، بل هذا الفنّ من الإدراك لا يكون إلاّ عن كشف إلهيّ منه يعرف ما أصل صور العالم القابلة لأرواحه. فسمّى هذا المذكور إنسانا وخليفة. فأمّا إنسانيّته فلعموم نشأته وحصره الحقائق كلّها، وهو للحقّ بمنزلة إنسان العين من العين الّذي يكون به النّظر، وهو المعبّر عنه بالبصر، فلهذا سمّي إنسانا، فإنّه به ينظر الحقّ إلى خلقه فيرحمهم، فهو الإنسان الحادث الأزليّ، والنشْأ الدّائم الأبديّ، والكلمة الفاصلة الجامعة، قيام العالم بوجوده، فهو من العالم كفصّ الخاتم من الخاتم، وهو محلّ النّقش والعلامة الّتي بها يختم الملك على خزانته. وسمّاه خليفة من أجل هذا، لأنّه تعالى الحافظ به خلقه كما يحفظ الختم الخزائن. فما دام ختم الملك عليها لا يجسر أحد على فتحه إلاّ بإذنه، فاستخلفه في حفظ الملك. فلا يزال العالم محفوظا ما دام هذا الإنسان الكامل. ألا تراه إذا زال وفكّ من خزانة الدّنيا، لم يبق فيها ما اختزنه الحقّ فيها، وخرج ما كان فيها، والتحق بعضه ببعض، وانتقل الأمر إلى الآخرة ختما على خزانة الآخرة ختما أبديّا. فظهر جميع ما في الصّور الإلهيّة من الأسماء في هذه النّشأة الإنسانيّة فحازت رتبة الإحاطة والجمع بهذا الوجود، وبه قامت حجّة الله تعالى على الملائكة. فَتَحَفَّظْ فقد وعظك الله بغيرك، وانظر من أين أُتِيَ من أوتي عليه. فإنّ الملائكة لم تقف مع ما تعطيه نشأة هذا الخليفة، ولا وقفت مع ما تقتضيه حضرة الحقّ من العبادة الذّاتيّة، فإنّه ما يعرف أحد من الحقّ إلاّ ما تعطيه ذاته، وليس للملائكة

جمعيّة آدم، ولا وقفت إلاّ مع الأسماء الإلهيّة الّتي تخصّها، وسبّحت الحقّ بها وقدّسته، وما علمت أنّ لله أسماء ما وصل علمها إليها، فما سبّحته بها ولا قدّسته تقديس آدم. فغلب عليها ما ذكرنا، وحكم عليها هذا الحال فقالت من حيث النّشأة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، وليس إلاّ النّزاع وهو عين ما وقع منهم. فما قالوه في حقّ آدم هو عين ما هم فيه مع الحقّ. فلولا أنّ نشأتهم تعطي ذلك ما قالوا في حقّ آدم ما قالوه وهم لا يشعرون. فلو عرفوا نفوسهم لعلموا، ولو علموا لعُصِمُوا. ثمّ لم يقفوا مع التّجريح حتّى زادوا في الدّعوى بما هم عليه من التّسبيح والتّقديس. وعند آدم من الأسماء الإلهيّة ما لم تكن الملائكة عليها، فما سبّحت ربّها بها ولا قدّسته عنها تقديس آدم وتسبيحه. فوصف الحقّ لنا ما جرى لنقف عنده ونتعلّم الأدب مع الله تعالى، فلا ندّعي ما نحن متحقّقون به وحاوون عليه بالتّقييد. فكيف أن نطلق في الدّعوى فنعمّ ما ليس لنا بحال ولا نحن منه على علم فنفتضح. فهذا التّعريف الإلهيّ ممّا أدّب الحقّ الأدباء الأمناء الخلفاء.

فما جمع الله لآدم بين يديه إلاّ تشريفا،ولهذا قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وما هو إلاّ عين جمعه بين الصّورتين: صورة العالم، وصورة الحقّ، وهما يدا الحقّ. وإبليس جزء من العالم لم تحصل له هذه الجمعيّة. ولهذا كان آدم خليفة، فإن لم يكن ظاهرا بصورة من استخلفه فيما استخلفه فيه، فما هو خليفة. وإن لم يكن فيه جميع ما تطلبه الرّعايا الّتي استخلف عليها، لأنّ استنادها إليه فلا بدّ أن يقوم بجميع ما تحتاج إليه، وإلاّ فليس بخليفة عليهم. فما صحّت الخلافة إلاّ للإنسان الكامل، فأنشأ صورته الظّاهرة من حقائق العالم، وصوّره وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى،

ولذلك قال فيه: "كنت سمعه وبصره"، ما قال: كنت عينه وأذنه، ففرّق بين الصّورتين. وهكذا هو في كلّ موجود من العالم بقدر ما تطلبه حقيقة ذلك الموجود. ولكن ليس لأحد مجموع ما للخليفة؛ فما فاز إلاّ بالمجموع.

١٢) هذا المعنى مطابق لقول أبي طالب المكي (ت: ٣٦٨ هـ.) في كتابه "قوت القلوب": (الفلك يجري بأنفاس الإنسان). وقد استشهد الشيخ بها في مواقع من الفتوحات، كقوله في الباب ١٧٨ :[لمّا كان العالم كله كل جزء منه عنده أمانة للإنسان، وقد كلف بأداء الأمانة، وأماناته كثيرة، ولأدائها أوقات مخصوصة، له في كل وقت أمانة. منها ما نبّه عليه أبو طالب من أنّ الفلك يجري بأنفاس الإنسان، بل بنفَس كل متنفس. والمقصود الإنسان بالذكر خاصة، لأنه بانتقاله ينتقل المُلك، ويتبعه حيث كان، فلا يزال العالم يصحبه الإنسان لهذه العلة].

١٣) الذين لم يوجدهم الله عن سبب، كالأرواح العالية، هم عالم الأمر لأنهم مخلوقون بالأمر الإلهي مباشرة. والذين أوجدهم عن سبب هم عالم الخلق. يقول الشيخ في الباب ٦٨ : [فكل موجود عند سبب مخلوق مما سوى الله هو عالم الخلق، وكل ما لم يوجد عند سبب مخلوق فهو عالم الأمر، والكلّ على الحقيقة عالم الأمر،إلا إنّا لا يمكننا رفع الأسباب من العالم، فإنّ الله قد وضعها، ولا سبيل إلى رفع ما وضعه الله]. ويقول في مسائل العقائد من مقدّمة الفتوحات: [الموجودون عن سبب مَا، من ممكن من عالم الخلق، إلا وله وجهان: وجه إلى سببه ووجه إلى الله تعالى. فكل حجاب وظلمة تطرأ عليه فمن سببه، وكل نور وكشف فمن جانب حقه. وكل ممكن من عالم الأمر فلا يتصوّر في حقه حجاب، لأنه ليس له إلا وجه واحد، فهو النور

المحض]. وقال في الباب ٧١ المتعلق بأسرار الصوم: [فإن إمساك النفس والجوارح إنما هو في المنهيات، وهي في عالم الشهادة، فإنّ عالم الغيب أمر بلا نهي، ولهذا سُمّوا: "عالم الأمر"، وذلك لأنّ عالم الغيب عقل مجرّد لا شهوة لهم، فلا نهي عندهم في مقام التكليف، فهم كما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّـهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، ولم يذكر لهم نهي عن شيء لأن حقائقهم لا تقتضيه].

١٤) أخرج أبو داود في سننه وغيره قوله- صلى الله عليه وسلم-: [خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تُصْبِحُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُصِيخَةً، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا مُؤْمِنٌ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ].

١٥) في"صحيح مسلم" عن زيد بن ثابت- رضي الله عنه- قال: "بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النَّجار على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه. وإذا أَقْبُرٌ ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: (مَن يعرف أصحاب هذه الأقبر؟) فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: (إن هذه الأمّة تُبتلى في قبورها، فلولا ألا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعَكم من عذاب القبر الذي أسمع منه)، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: (تَعَوَّذُوا بالله من عذاب النار)، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: (تَعَوَّذُوا بالله من عذاب القبر) قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: (تَعَوَّذُوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن) قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما

ظهر منها وما بطن، قال: (تَعَوَّذُوا بالله من فتنة الدَّجَّال)، وفي مسند ابن حنبل: (إنهم يعذبون عذابا في قبورهم تسمعه البهائم).

١٦) الحديث رواه مسلم في صحيحه، وروى البخاري مثله في صحيحه.

١٧) حديث تسبيح الحصى في يد النبي - صلى الله عليه وسلم- رواه الطبراني في معجمه الأوسط، والبيهقي في السنن الصغير، والخلال في السنة، وابن أبي عاصم في السنة، والحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" عن أبي ذر الغفاري قال: إني لشاهد عند النبي - صلى الله عليه وسلم- في حلقة وفي يده حصى فسبّحن في يده، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فسمع تسبيحهنّ من في الحلقة، ثم دفعهنّ النبي إلى أبي بكر فسبّحن مع أبي بكر، سمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن إلى النبي فسبحن في يده، ثم دفعهن النبي إلى عمر فسبحن في يده، وسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي إلى عثمان بن عفان فسبحن في يده، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف، وله طريق أحسن من هذا في علامات النبوة وإسناده صحيح. وضعّف الحديث النسائي والعراقي. وقال ابن حجر في الفتح: والذي أقول: إنها كلها مشتهرة عند الناس، وأمّا من حيث الرواية، فليست على حد سواء، فإن حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك، وأمّا تسبيح الحصى، فليست إلا هذه

الطريق الواحدة، مع ضعفها، وأمّا تسليم الغزالة، فلم نجد له إسنادا، لا من وجه قويّ، ولا من وجه ضعيف. اهـ.

١٨) روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأعرف حجراً بمكة، كان يسلم علي قبل أن أُبْعَث، إني لأعرفه الآن)... وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: (كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله).

١٩) الحديث صحيح رواه الترمذي، والحاكم في المستدرك، وابن حبان في صحيحه، وابن أبي شيبة في المصنف. وقد توسع الشيخ في بيان حياة الجمادات في الباب ٢٨٥ من الفتوحات المتعلق بسورة الزلزلة، وعنوانه: "منزل مناجاة الجماد". كما توسّع في بيان ما تدركه البهائم من مغيّبات في الباب ٣٥٧ المتعلق بسورة النمل، وعنوانه: "في معرفة منزل البهائم من الحضرة الإلهية"، وكذلك في الباب ٣٧٨ المتعلق بسورة الأنعام، وعنوانه: "في معرفة منزل الأمّة البهيمية".

٢٠) عَنْ أبي هريرة– رضي الله عنه– أَنَّ رَسُول اللهَّ– صلى الله عليه وسلم– قَال: (يُسْتجَابُ لأَحَدِكُم مَا لَم يعْجلْ: يقُولُ قَدَ دَعوتُ رَبِّي، فَلم يسْتَجبْ لِي)– حديث صحيح متفقٌ عَلَيْهِ– وروى مسلم في صحيحه قوله– صلى الله عليه وسلم–: (لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم)، وفي موطأ الإمام مالك الحديث: (ما من داعٍ يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث: إمّا أن يستجاب له، وإمّا أن يدّخر له، وإمّا أن يُكفّر عنه)،

٢١) حول دوريّة كلّ المظاهر الوجودية ينظر في الفتوحات الباب ٣٣٢ المتعلق بمنزل سورة الطور.

٢٢) ذكر الشيخ أبياته هذه في ديوانه، وفي كتاب "مواقع النجوم". وفيها الزيادة التالية:

فـــانظرْ إلى الحكمـــة ســـيّارة ... في وســـط الفلـــك وأرجائـــه

ومـــن أتـــى يرْغـــب في شـــأنه ... يقعـــد في الـــدنيا بسيســـائه

حتـــى يـــرى في نفســـه فلكـــه ... وصـــــــنعة الله بإنشـــــــائه

وفي نسخة أخرى زيادة:

فالبـــاء لا بـــرّ ولا ســـاحل ... والتـــاء تـــابوت وموســـى بـــه

وختم الأبيات بقول:

مـــن تـــاه في القـــول دارت بـــه ... ســـــفينة في بحـــــر غيبائـــــه

والحِندس هي الظلمة. والسيساء هو منتظم فقار الظهر، وسيساء الحق حدّه. ومعنى قوله: (وموْجه أحوال عشاقه * وريحه أنفاس أبنائه) ينظر في التعليق السابق رقم ١٢ حول قول أبي طالب المكي: (الفلك يجري بأنفاس الإنسان).

٢٣) مرجع القدرة إلى الإرادة؛ ومرجع الإرادة إلى العلم؛ والعلم تابع للمعلوم؛ وهذا سرّ القدر الذي كرّر الشيخ التنبيه عليه في الكثير من نصوصه، خصوصا في الفتوحات والفصوص.

٢٤) في الباب ١١ من الفتوحات وهو في معرفة آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات، يقول عن أولاد هذا النكاح الزماني:

[ولمّا أدار الله هذه الأفلاك العلوية، وأوجد الأيّام بالفلك الأوّل (يعني فلك البروج)، وعيّنه بالفلك الثاني الذي فيه الكواكب الثابتة للأبصار (يعني أنها تتحرك حركة بطيئة جدا بالنسبة للأبصار في الأرض، فلا تدرك حركتها)، ثم أوجد الأركان: ترابا وماء وهواء ونارا، ثم سوّى السماوات سبعا طباقا، وفتقها أي فصل كل سماء على حدة بعد ما كانت رتقا إذ كانت دخانا، وفتق الأرض إلى سبع أرضين: سماء أولي لأرض أولى، وثانية لثانية إلى سبع. وخلق الجواري الخنّس خمسة في كل سماء كوكب. وخلق القمر وخلق أيضا الشمس، فحدث الليل والنهار بخلق الشمس في اليوم، وقد كان اليوم موجودا. فجعل النصف من هذا اليوم لأهل الأرض نهارا، وهو من طلوع الشمس إلى غروبها، وجعل النصف الآخر منه ليلا، وهو من غروب الشمس إلى طلوعها، واليوم عبارة عن المجموع. ولهذا خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أَيَّامٍ، فإنّ الأيام كانت موجودة بوجود حركة فلك البروج، وهي الأيام المعروفة عندنا لا غير. فما قال الله: "خلق العرش والكرسي"، وإنما قال: "خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ". فإذا دار فلك البروج دورة واحدة فذلك هو اليوم الذي خلق الله فيه السماوات والأرض. ثم أحدث الله الليل والنهار عند وجود الشمس لا الأيام. وأمّا ما يطرأ فيها من الزيادة والنقصان – أعني في الليل والنهار، لا في الساعات فإنها أربع وعشرون ساعة– وذلك لحلول الشمس في منطقة البروج، وهي حمائلية (أي بيت شرفها في برج الحمل) بالنسبة إلينا فيها ميل، فيطول النهار إذا كانت الشمس في المنازل العالية حيث كانت، وإذا حلّت الشمس في المنازل النازلة قصر النهار حيث كانت. وإنما قلنا: "حيث

كانت"، فإنه إذا طال الليل عندنا طال النهار عند غيرنا، فتكون الشمس في المنازل العالية بالنسبة إليهم، وفي المنازل النازلة بالنسبة إلينا. فإذا قصر النهار عندنا طال الليل عندهم لِما ذكرناه. واليوم هو اليوم بعينه أربع وعشرون ساعة، لا يزيد ولا يقص، ولا يطول ولا يقصر في موضع الاعتدال. فهذا هو حقيقة اليوم. ثم قد نسمِّي النهار وحده يوما، بحكم الاصطلاح، فافهم.

وقد جعل الله هذا الزمان الذي هو الليل والنهار يوما، والزمان هو اليوم، والليل والنهار موجودان في الزمان، جعلهما أبًا وأمّا لِما يُحدِث الله فيهما كما قال: "يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ"، كمثل قوله في آدم: "فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ". فإذا غشي الليل النهار كان الليل أبا، وكان النهار أمّا، وصار كل ما يحدث الله في النهار بمنزلة الأولاد التي تلد المرأة. وإذا غشي النهار الليل كان النهار أبا وكان الليل أمّا، وكان كل ما يحدث الله من الشؤون في الليل بمنزلة الأولاد التي تلد الأم. وقد بيّنا هذا الفصل في "كتاب الشأن" لنا، تكلمنا فيه على قوله تعالى: "كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ"، وسيأتي -إن شاء الله- في هذا الكتاب إنْ ذكّرَنا الله به من معرفة الأيام طرَفا شافيا. وكذلك قال تعالى أيضا: "يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ"، فزاد بيانا في التناكح. وأبان سبحانه بقوله: "وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهار" أنّ الليل أمّ له، وأنّ النهار متولد عنه، كما ينسلخ المولود من أمّه إذا خرج منها، والحيّة من جلدها، فيظهر مولدا في عالم آخر غير العالم الذي يحويه الليل. والأب هو اليوم الذي ذكرناه. وقد بيّنا ذلك في "كتاب الزمان" لنا ومعرفة الدهر. فهذا الليل والنهار أبوَان بوجه وأمّان بوجه. وما يُحدث الله فيهما في عالم

الأركان من المولّدات عند تصريفهما يسمّون أولاد الليل والنهار، كما قرّرناه. ولّما أنشأ الله أجرام العالم كله القابل للتكوين فيه، جعل مِن حدّ ما يلي مقعر السماء الدنيا إلى باطن الأرض عالم الطبيعة والاستحالات، وظهور الأعيان التي تحدث عند الاستحالات، وجعلها بمنزلة الأمّ. وجعل من مقعر فلك السماء الدنيا إلى آخر الأفلاك بمنزلة الأب. وقدّر فيها منازل وزيّنها بالأنوار الثابتة والسابحة. فالسابحة تقطع في الثابتة، والثابتة والسابحة تقطع في الفلك المحيط بتقدير العزيز.

٢٥) التكوير جسماني لأنّه متعلق بالتتابع المتسلسل المعهود المشهود حسّا المعروف عند الجميع، أي تنابع الليل والنهار. أمّا التوالج فهو روحاني لأنه يتعلق بتأثير روحانيات الكواكب في أفلاك سماواتها العلوية خلال ساعتها الموزعة في السبوع بكامله، كما سيتم تفصيله لاحقا.

٢٦) أي أنّ بلعام كان عنده علم بإحدى الصيغ الحرْفية للاسم الأعظم الذي يقع به التصريف الكوني، بمقتضى خاصيته الحرْفية، التي لا تتعلق بصدق قائله والمتصرّف به. وفي هذا المعنى يقول الشيخ في الباب ٧٣ من الفتوحات عند جوابه على السؤال ١٣٥ من أسئلة الحكيم الترمذي:

[ماذا اطلع من الاسم: على حروفه أو معناه (يعني الشيخ صاحب سليمان- عليه السلام- الذي أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتدّ إليه طرفه)؟ الجواب: (اطلع)على حروفه دون معناه، فإنه لو وقف على معناه لمنعه العمل به كما منع سليمان. ألا ترى إلى قوله تعالى في صاحب موسى: "فَانْسَلَخَ مِنْها"، فكانت عليه كالثوب، وهو مثل الحرف على المعنى، فعمل بها في غير طاعة الله، فأشقاه الله. وصاحب سليمان عمل به في طاعة الله فسعد. وما

وقف على معناه من الأمم الخالية سوى الرّسل والأنبياء فإنهم وقفوا على معناه وحروفه، إلا هذه الطائفة المحمّديّة فإنهم جُمِع لبعضهم بين حروفه ومعناه، ولبعضهم أعطِي معناه دون حروفه. وليس في هذه الأمّة من أعطى حروفه دون معناه. وكذلك صاحب الأخدود أعطي حروفه دون معناه، فإنه تلقّاه من الرّاهب كلمات كما ورد، وهي الكلمات التي ذكرناها في السؤال الثاني والثلاثين مائة]. انتهى.

وقصة بلعام الواردة في كتب التفسير هي التالية، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٥-١٧٦):

إنّ موسى – عليه السلام – لمّا نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام، أتى قوم بلعام إليه فقالوا له: هذا موسى بن عمرَان في بني إسرائيل، قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويُحلها بني إسرائيل، وإنا قومك، وليس لنا منزل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرجْ فادع الله عليهم. قال: ويلكم! نبيّ الله معه الملائكة والمؤمنون، كيف أذهب أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم؟! قالوا له: ما لنا من منزل! فلم يزالوا به يرَققونه ويتضرّعون إليه حتى فتنوه فافتتن، فركب حمارة له متوجّها إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل، فلمّا سار عليها غير كثير ربضت به، فنزل عنها فضربها حتى إذا أذلقها قامت فركبها. فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به، فضرَبها حتى إذا أذلقها أذن الله لها فكلمته حجّة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين

تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردّني عن وجهي هذا؟ أتذهب إلى نبيّ الله والمؤمنين لتدعو عليهم؟ فلم ينزع عنها يضربها، فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك. فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على عسكر موسى وبني إسرائيل، جعل يدعو عليهم، ولا يدعو عليهم بشرّ إلا صرف الله لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل. فقال له قومه: أتدري يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم، وتدعو علينا! قال: فهذا ما لا أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه! قال: واندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة. فسأمكر لكم وأحتال: جمِّلوا النساء وأعطوهن السلع، ثم أرْسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه، ومرُوهُن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرَادها، فإنهم إن زنى رجل منهم واحد كفيتموهم. ففعلوا. فلمّا دخل النساء العسكر، مرّت امرأة من الكنعانيين برجل من عظماء بني إسرائيل، فقام إليها، فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى -عليه السلام -فقال: إني أظنك ستقول هذا حرَام عليك؟ قال: أجل، هي حرام عليك، لا تقربها، قال: فوالله لا نطيعك في هذا. ثم دخل بها قبّته فوقع عليها. وأرسل الله- عز وجل- الطاعون في بني إسرائيل، فهلك منهم سبعون ألفا - والمقلِّل لهم يقول: عشرون ألفا - في ساعة من النهار.

٢٧) يشير الشيخ إلى قصة الخضر مع موسى- عليهما السلام- المذكورة في الخضر. وقوله عنه: "ولمّا كان في الخضر قوّة عربيّة للحوقه بنا" يشير إلى لحوق الخضر بالأمّة المحمّديّة لأنّ الله أكرمه بامتداد الحياة إلى آخر الزمان، فأصبح تابعا للشرع المحمدي. وجدّه الرسول العربي هود- عليه السلام-

حسب نسبه الذي ذكره في الباب ٣٦٦ من الفتوحات المتعلق بسورة الكهف. وقد ذكر الشيخ الخضر عشرات المرات في الفتوحات وكتبه الأخرى. وخصص له في الفتوحات الباب ٢٥ الذي عنوانه: (في معرفة وتد مخصوص معمّر). وخلاصة كلام الشيخ حوله نوجزه في ما يلي: [اعلم أن هذا الوتد هو خضر واسمه: بليا بن ملكان بن فالغ بن غابر - الذي هو هود عليه السلام - بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. كان في جيش ذي القرنين، فبعثه ليرتاد لهم ماء، فوقع بعين الحياة فشرب منه فعاش إلى الآن. وكان لا يعرف ما خصّ الله به من الحياة شارب ذلك الماء. ثم عاد إلى أصحابه فأخبرهم بالماء، فسارع الناس إلى ذلك الموضع ليسقوا منه، فأخذ الله بأبصارهم عنه، فلم يقدروا عليه. فهذا ما أنتج له سعيه في حق الغير. وأطال الله عمره إلى الآن، كما أبقى الله من الرسل الأحياء بأجسادهم ثلاثة، هم إدريس في السماء الرابعة، وعيسى في السماء الثانية، وإلياس في الأرض عليهم السلام. فهؤلاء الأربعة هم أوتاد بيت الدين الثابت الباقي إلى آخر الزمان، الحافظون لأركانه الأربعة: الرسالة والنبوة والولاية والإيمان، واحد منهم هو القطب وله ركن الحجر الأسود، واثنان منهم هما الإمامان، وللوتد الرابع الركن الرابع. ولكل واحد منهم في كل زمن شخص على قلبه هو نائب له مع وجوده. وزيادات الإيمان بالغيب واليقين البارزة من الغوث صاحب الزمان تُعطى على يد إلياس من حيث القبض، وعلى يد الخضر من حيث البسط. فممّا خص الله به الخضر أنّه ما حلّ بموضع أجدب إلا أوجد الله فيه الخصب والبركة كما ورد في الحديث عن سبب تسميته بخضر أنّه "ما قعد على فروة إلا اهتزت تحته خضراء". وقد شهد

الله له أنّه آتاه رحمة من عنده وعلّمه من لدنه علما اتبعه فيه كليم الله موسى - عليهما السلام-. فحاله العصمة من كل ما يؤدّي إلى سوء الأدب الذي يبعد صاحبه عن البساط. فهو محفوظ عليه وقته أبدا، وعلمه علم الاعتصام بالله وبحبله، أي الطريق الذي يعرج بالعبد إلى الله تعالى. وهو من أكبر الأقطاب المُلحقين بآل بيت النبي ﷺ كسلمان ﵁، وهو من رؤوس الأفراد الذين تولىّ الله تعليمهم عناية بهم. فهو من المقربين، أي له مقام القربة أو النبوة العامّة بلا تشريع، التي منزلها بين الصديقية ونبوّة الشرائع. ومنزل أهل القربة يعطيهم اتصال حياتهم بالآخرة، فلا يدركهم الصعق الذي يدرك الأرواح، بل هم ممّن استثنى الله في قوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّـهُ﴾. وهؤلاء الأفراد من أهل مقام السير في الحق تعالى بأسمائه: منه وإليه وفيه وبه. فهو سائر في وقوفه واقف في سيره. فهم بمنزلة المهيّمين من الملائكة، يفعلون ما يؤمرون، فخرق السفينة وقتل الغلام حُكما، وأقام الجدار مكارم أخلاق. والخضر هو الشاب الممتلئ شبابا الذي يتحدّى الدجّال عند خروجه في آخر الزمان، فيقطعه الدجال في زعمه جزلتين ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك كما ورد في الحديث. وروينا عنه أنّه قال: اجتمعت بشخص يوما لم أعرفه، فقال لي: يا خضر سلام عليك. فقلت له: من أين عرفتني؟ فقال لي: إنّ الله عرّفني بك. فعلمت أنّ لله عبادا يعرفون الخضر ولا يعرفهم الخضر. وسُئل عن الشافعي فقال: هو من الأوتاد الأربعة. وسُئل عن أحمد بن حنبل فقال: هو صِدِّيق. وسئل عن بشر الحافي فقال: "ما ترك بعده مثله"].

وذكر الشيخ في الباب ٢٥ ثلاثة لقاءات له مع الخضر عليه السلام: لقيه عام ٥٩٠ وهو في مركب بمرسى تونس، حيث جاءه الخضر وهو يمشي على سطح البحر بدون أن يصيبه بلل وتحاورا معا. ولقيه بعد ذلك بمسجد في ساحل البحر المحيط مع مَن وصفَه بأنه "رجل كبير القدر أكبر منه منزلة" فربّما يكون هذا الرجل هو الإمام الوزير الثاني للقطب الذي قال عنه الشيخ إنّه عاينه في بعض سياحاته وإنّه يربّي الأفراد. وكان مع الشيخ رجل ينكر خرق العوائد، فأشهده خضر إحداها قال الشيخ عنها: [وإذا بذلك الرجل الذي قلت إنّه الخضر قد أخذ حصيرا صغيرا كان في محراب المسجد، فبسطه في الهواء على قدر علو سبعة أذرع من الأرض، ووقف على حصير في الهواء يتنفل (...) فلما فرغ من صلاته سلمت عليه وأنشدته لنفسي:

شغل المحبّ عن الهواء بسره ... في حبّ من خلق الهواء وسخّره

العارفون عقولهم معقولة ... عن كل كون ترتضيه مطهّرة

فهُمو لديه مكرّمون وفي الورَى ... أحوالهم مجهولة ومستّره

فقال لي: يا فلان، ما فعلتُ ما رأيت إلا في حق هذا المنكر (...) فرددت وجهي إلى المنكر وقلت له: ما تقول؟ فقال: ما بعد العين ما يقال].

وأمّا أول لقاء للشيخ وهو في بداية العشرينات من عمره مع الخضر عليه السلام فيقول الشيخ عنه: [... وذلك أنّ شيخنا أبا العباس العريبي رحمه الله جرت بيني وبينه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله ﷺ - (يعني الإمام المهدي القائم في آخر الزمان) فقال لي: هو فلان بن فلان، وسمّي لي شخصا أعرفه باسمه، وما رأيته، ولكن رأيت ابن عمته. فربّما توقفت فيه

ولم آخذ بالقبول، أعني قوله فيه لكوني على بصيرة في أمره. ولا شك أنّ الشيخ رجع سهمه عليه، فتأذى في باطنه ولم يشعر بذلك، فإنّي كنت في بداية أمري. فانصرفت عنه إلى منزلي. فكنت في الطريق، فلقيني شخص لا أعرفه، فسلم عليّ ابتداء، بسلام محبّ مشفق وقال لي: يا محمد، صدّق الشيخ أبا العباس فيما ذكر لك فلان عن فلان، وسمّى لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العريبي، فقلت له: نعم. وعلمت ما أراد، ورجعت من حيني إلى الشيخ لأعرفه بما جرى؛ فعندما دخلت عليه قال لي: يا أبا عبد الله، أحتاج معك إذا ذكرت لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها إلى الخضر يتعرض إليك، يقول لك صدّق فلانا فيما ذكره لك، ومن أين يتفق لك هذا في كل مسألة تسمعها مني فتتوقف؟! فقلت: إن باب التوبة مفتوح. فقال: وقبول التوبة واقع. فعلمت أنّ ذلك الرجل كان الخضر ولا شك أني استفهمت الشيخ أهُوَ هو؟ قال: نعم، هو الخضر.قلت له الحمد لله هذه فائدة، ومع هذا، فما هو الأمر إلا كما ذكرت لك. فلما كان بعد مدة، دخلت على الشيخ، فرأيته قد رجع إلى قولي في تلك المسألة وقال لي: "إنّي كنتُ على غلط فيها وأنت المصيب". فقلت له: يا سيدي علمت الساعة أنّ الخضر ما أوصاني إلا بالتسليم، وما عرفّني بأنك مصيب في تلك المسألة، فإنّه ما كان يتعين عليّ نزاعك فيها، فإنّها لم تكن من الأحكام الشرعية التي يحرم السكوت عنها. وشكرت الله على ذلك، وفرحت للشيخ الذي تبيّن له الحق فيها].

ويذكر لباسه خرقة الخضر عليه السلام في الطريق فيقول عنه في الباب ٢٥:

[واجتمع به رجل من شيوخنا وهو علي بن عبد الله بن جامع، من أصحاب علي المتوكل وأبي عبد الله قضيب البان. كان يسكن بالمقلي خارج

الموصل في بستان له، وكان الخضر قد ألبسه الخرقة بحضور قضيب البان. وألبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه، وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إيّاها. وقد كنت لبست خرقة الخضر بطريق أبعد من هذا، من يد صاحبنا تقيّ الدّين عبد الرحمان بن عليّ بن ميمون بن آب التوزري. ولبسها من يد الخضر. ومن ذلك الوقت، قلت بلباس الخرقة، وألبستها النّاس لما رأيت الخضر قد اعتبرها.وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن، فإنّ الخرقة عندنا إنّما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق. ولهذا، لا يوجد لباسها متصلا برسول الله ﷺ، ولكن توجد صحبة وأدبا، وهو المعبر عنه بلباس التقوى. فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحدا من أصحابهم عنده نقص في أمر ما، وأرادوا أن يكملوا له حاله، ويتحد به هذا الشيخ، فإذا اتحد به، أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال، ونزعه، وأفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حاله. فيسري فيه ذلك الحال، فيكمل له ذلك. فذلك هو اللباس المعروف عندنا، والمنقول عن المحققين من شيوخنا].

وقد وضح الشيخ كيفية تحصيل العلم اللدني الموهوب للخضر وأمثله في الباب ٣٩٦ فقال ما ملخصه:

[وليس له طريق إلى ذلك إلا بأن يترك جميع المعلومات وجميع العالم من خاطره، ويجلس فارغ القلب مع الله، بحضور ومراقبة وسكينة وذكر إلهي بالاسم: الله ذكر قلب، ولا ينظر في دليل يوصله إلى علمه بالله. فإذا لزم الباب وأدمن القرع بالذكر - وهذه هي الرحمة التي يوتيها الله من عنده - فيتولى الحق تعليمه شهودا كما تولى أهل الله كالخضر وغيره، فيعلمه من لدنه

علما من الوجه الخاص الذي بينه وبين الله، فلا يطلع عليه غيره. وقد فتح الله بيننا وبينه، فلزمت واسترحت. وعلامة من يدعيه لزوم الأدب الشرعي، فيرى المعصية في مخالفة الشرع. وإن اعتقد خلاف هذا، فما هو من أهل الوجه الخاص، وإنما هو شخص لا يعبأ الله به].

٢٨) نفس هذا المعنى ذكره الشيخ في الفصل ١٣ من الباب ١٩٨ من الفتوحات، حيث أورد رؤيا حصلت له تتعلق بمرتبة الطبيعة، وجاء فيها قوله: [...فسمعت بعض الناس يقولون (الحديث النبوي): لو كان الإيمان بالثريّا لنالته رجال من فارس. فقلت: "ولو كان العلم بالثريّا لنالته العرب، والإيمان تقليد، فكم بين عالم وبين مَن يقلِّد عالما". فقالوا: صدق. فالعربي له العلم والإيمان، والعجم مشهود لهم بالإيمان خاصّة في دين الله].

٢٩) حول شرف الحس على العقل ينظر في الفتوحات الباب٣٤٦ وهو متعلق بسورة "ص". وفيه يقول عن القوى الحسّيّة:

[هي أتم القوى لأنّ لها الاسم"الوَهّاب"، لأنها هي التي تهب للقوى الروحانية ما تتصرّف فيه، وما يكون به حياتها العلميّة من قوّة خيال وفكر وحفظ وتصوّر ووَهم وعقل، وكل ذلك من مواد هذه القوي الحسية. ولهذا قال الله تعالى في الذي أحبّه من عباده: "كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به"، وذكر الصورة المحسوسة، وما ذكر من القوي الروحانية شيئا، ولا أنزل نفسه منزلتها، لأنّ منزلتها منزلة الافتقار إلى الحواس، والحق لا ينزل منزلة من يَفتقر إلى غيره، والحواس مفتقرة إلى الله، لا إلى غيره. فنزل لمن هو مفتقر إليه لم يشرك به أحدا. فأعطاها الغنى، فهي يُؤخذ منها وعنها، ولا تأخذ هي من سائر القوى إلا من الله. فاعرف شرف الحس وقدره، وأنه

عين الحق. ولهذا لا تكمل النشأة الآخرة إلا بوجود الحس والمحسوس، لأنها لا تكمل إلا بالحق. فالقوى الحسية هم الخلفاء على الحقيقة في أرض هذه النشأة عن الله. ألا تراه سبحانه كيف وصف نفسه بكونه سميعا بصيرا متكلما حيّا عالما قادرا مريدا، وهذه كلها صفات لها أثر في المحسوس، ويحس الإنسان من نفسه بقيام هذه القوى به. ولم يصف سبحانه نفسه بأنه عاقل ولا مفكِّر ولا متخيّل. وما أبقى له من القوي الروحانية إلا ما للحس مشاركة فيه، وهو الحافظ والمصوّر، فإنّ الحس له أثر في الحفظ والتصوير. فلولا الاشتراك ما وصف الحق بهما نفسه، فهو الحافظ المصوّر، فهاتان صفتان روحانية وحسية... فأعلمتك أنّ الشرف كله في الحس، وإنك جهلت أمرك وقدْرك. فلو علمتَ نفسك علمت ربّك، كما أنّ ربّك علمك وعلم العالم بعلم بنفسه. وأنت صورته، فلا بد أن تشاركه في هذا العلم، فتعلمه من علمك بنفسك، وهذه نكتة ظهرت من رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حيث قال: "من عرف نفسه عرف ربّه"].

٣٠) الكلام في السلخ من الفصل، لأنّ فيه بيان تفصيل بيان الروحانية الحاكمة على كلّ ليلة، وهي نفسها الحاكمة على النهار المسلوخ منها، وهي روحانية أوّل ساعة منهما، كما هو واضح في الجدول السابق المشتمل على تفاصيل الكواكب الحاكمة روحانياتها على الساعات الاثني عشرة في كل ليلة ونهارها المسلوخ منها. وأما بيان ليالي ونهارات الإيلاج فهو من فصل الفصل، لأنه لا يتعلق بالليالي والنهارات من حيث إجمالها، وإنما فيه تفصيل لكلّ ساعات روحانية كل كوكب من الكواكب السبعة خلال الأسبوع بكامله.

٣١) تفصيل هذه الليالي ونهاراتها المسلوخة منها موجود في الجدول المذكور أخيرا في التعقيب السابق الأخير. ففيه يتبيّن أنّ:

- ليلة الأحد سُلِخ منها نهار الأربعاء، لأنّ الروحانية الحاكمة عليهما في أوّل ساعة منهما هي روحانية كوكب الكاتب. وكذلك لهما نفس النواب من روحانيات بقية الكواكب في الساعات الأخرى.

- ليلة الاثنين سلخ منها نهار الخميس لأنهما تحت نفس حكم روحانية المشتري.

- ليلة الثلاثاء سلخ منها نهار الجمعة لأنهما تحت نفس حكم روحانية الزهرة.

- ليلة الأربعاء سلخ منها نهار السبت لأنهما تحت نفس حكم روحانية زحل.

- ليلة الخميس سلخ منها نهار الأحد لأنهما تحت نفس حكم روحانية الشمس.

- ليلة الجمعة سلخ منها نهار الاثنين لأنهما تحت نفس حكم روحانية القمر.

- ليلة السبت سلخ منها نهار الثلاثاء لأنهما تحت نفس حكم روحانية المريخ.

٣٢) قوله: (فيوْمنا الصحيح، إنما هو ما تكون ساعاته كلها سواء) يعني به: ساعاته كلّها تحت حكم روحانية نفس الكوكب. وهذا لا يكون إلا باعتبار ليالي ونهارات التوالج الموزّعة ساعاتها على كلّ الأسبوع.

٣٣) قوله: (فطلبنا هذا من جهة الحُكم في يوم السلخ، فلم نجده إلا قليلا) يعني أنه باعتبار نفس الليلة ونهارها المسلوخ لا نجد لنفس الروحانية إلا ساعات قليلة. فمثلا: ليلة الأحد المسلوخ منها نهار الأربعاء لا حكم لروحانيتها بالاستبداد الكامل دون نائب إلا خلال ساعتين، هما الأولى والثامنة من كليهما. وكذلك ساعتين لنوابها الكاتب والقمر وزحل وساعة واحدة للمشتري والمريخ. وتقاس باقي أيام السلخ على هذا المنوال.

٣٤) أي أنّ أيام التكوير المتتابعة نهاراتها بالليالي – كما هي معتبرة عند عموم الناس– فلا اعتبار أصلا لحاكمية روحانيات الكواكب، والشؤون النازلة من ملائكة سماواتها بتقدير العزيز العليم.

٣٥) قول الشيخ عن نفسه أنه عربي يعني أنه من ذرّية حاتم الطائي الذي يُضرب به المثل في الكرم. أمّا أمّه – واسمها: نور– فنسبها يصعد إلى صحابي أنصاري بدري لم يعيّن الشيخ اسمه، لكنه في الباب ٤٩ من الفتوحات يقول في قصيدة له:

إني امــرؤ مــن جملــة الأنصــار   فـإذا مـدحتهم مـدحت نجـاري

ففي هذا البيت عبّر الشيخ عن قوله قبله: "وكانت أمّي تنسب إلى الأنصار".

٣٦) كلمة (يوم) في كلام الشيخ في هذه الفقرات التالية يعني بها: (نهار). ولمعرفة ما فصّله الشيخ من ساعات هذه الليالي والنهارات الإيلاجية ينظر في الجدول المذكور سابقا ساعات الكواكب السبعة الحاكمة على أول ساعة من نهار كلّ يوم، وتتبع مواقعها خلال كلّ ساعات

الأسبوع: فليوم الأحد ساعات الشمس، لأنها هي الحاكمة على أوّل ساعة من نهاره. وليوم الاثنين ساعات القمر، وللثلاثاء المريخ الأحمر،وللأربعاء ساعات الكاتب عطارد، وللخميس ساعات المشتري، وللجمعة ساعات الزهرة، وللسبت ساعات زحل المقاتل.

٣٧) في هذه الفقرة المتعلقة بيوم الأحد الإيلاجي: النفس الواحد الكلية هي التي تسمّى بلسان الشرع اللوح المحفوظ. ومنه تأخذ الملائكة ما يأمرها الله تعالى بأخذه ليتنزل حسب دورَات الأفلاك ببروجها ونجومها ومنازلها وكواكبها السيّارة. وذكر تسخين العالم لأنّ الحُكم في هذا اليوم للشمس في الفلك الرّابع القلبي القطبي الأوسط بطبعها الناري الحار اليابس. وساعدتها روحانية الفلك السابع بنصف قوّته لأنّ طبعه ترابي، أي بنصف طبيعته الترابية اليابسة الباردة، أي ساعدها بطبعه اليابس لا ببرودته. أمّا الفلك الخامس فلك المريخ فله كفلك الشمس الطبع الناري الحار اليابس، فساعدها بكل قوّته. وساعدها فلك المشتري السادس بنصف قوّته لأنّ طبعه هوائي حار رطب، فساعدها بحرارته لا برطوبته. وفلك الكاتب الثاني طبعه ممتزج من طبائع الأركان الأربعة، فهو ناري هوائي مائي ترابي، فساعد فعل الشمس برُبُعه الناري. وأمّا فلك القمر الأول وفلك الزهرة الثالث فطبعهما مائي بارد رطب معاكس تماما لطبع الشمس الناري، فلا يساعدانها في شيء. وسريان الأرواح والحركات هو من شأن هذا اليوم الشمسي الناري الإيلاجي، لأنّ الحرارة هي سبب التحريك.

٣٨) الحاكم على روحانية يوم الاثنين الإيلاجي بلياليه ونهاراته هي روحانية القمر في ساعاته الأربعة والعشرين الموزّعة في كلّ الأسبوع.

وطبيعة القمر وفلكه الأول مائية باردة رطبة، وهي نفس طبيعة فلك الزهرة الثالث، ولهذا قال: (فساعدها الأوّل والثالث بكلّيته). وقوله: (ساعدها الثاني برُبعه في هبوطه، وبرُبعه الثاني في سيره لهبوطه) يعني أنّ فلك كوكب الكاتب وفلكه له الطبيعة الممتزجة من الطبائع الأربعة: فساعد برطوبته الطبيعة الباردة لفلك القمر، والرطوبة هي التي عبّر عنها الشيخ بالهبوط، كما ساعد ببرودته الطبيعة الباردة للقمر وفلكه، والبرودة هي التي عبّر الشيخ عنها بالسير إلى الهبوط، لأنّ البرودة هي السبب الفاعل للرطوبة الهابطة، بحكم ثقلها نحو الأسفل. وقوله: (وساعدها السادس بنصف قوّته في هبوطه، وكذلك السابع) يعني أنّ فلك المشتري السادس طبعه هوائي حار رطب، فساعد بنصف قوّته التي هي رطوبته رطوبة الفلك القمري. أمّا فلك زحل فهو ترابي يابس، فساعد بنصف قوّته التي هي البرودة برودة الفلك القمري. وقوله: (ولم يساعدها الرّابع والخامس) لأنّ طبيعة فلك الشمس الرابع وفلك المريخ الخامس نارية حارة يابسة معاكسة تماما لطبيعة الفلك القمر المائي.

وبسبب هذه الطبيعة المائية ذكر الشيخ أنّ فعل هذا الفلك القمري يظهر في إمداد الأركان بالعصارات والرياح الممطرات، وفي إنماء الناميات لأنّ الماء هو سبب الحياة والنموّ، ولا تقوى فيه الحركات لأنّ للماء والتراب الثقل، خلافا للطافة وحركة الهواء والنار.

٣٩) الحاكم على الساعة الأولى من نهار الثلاثاء هو روحانية المريخ الأحمر. وبالتالي فإنّ يوم الثلاثاء المريخي الإيلاجي يتألّف من الساعات الأربعة والعشرين الموزّعة على كلّ الأسبوع الحاكمة فيها هذه الروحانية.

وطبيعة المريخ وفلكه نارية حارة يابسة. ولهذا لم تساعدها الروحانية المائية لفلك القمر الأول وفلك الزهرة الثالث. وساعدها فلك زحل السابع الترابي البارد اليابس بنصف قوّته التي هي اليبوسة التي هي الأوج الصاعد للحرارة. وساعدها فلك المشتري السادس الهوائي الحار البارد بنصف قوته التي هي الحرارة. أمّا الفلك الشمسي الرّابع فهو ناري مطابق لطبع فلك المريخ، ولهذا ساعده بكلّ قوّته،أي بيبوسته التي لها الأوَج، وبحرارته التي لها الصعود إلى ذلك الأوج.

وبمقتضى هذه الطبيعة النارية كان لروحانية فلك المريخ ويومه الإيلاجي تلطيف الأهوية السخيفات. والطبع الناري إذا حكم على النفوس بأهوائها السخيفة نشبت الفتن، واندلعت الحروب، وتفشى سفك الدّماء، ولهذا سُمّي المريخ بالكوكب الأحمر وبكوكب الدّم وبكوكب النار.

٤٠) الحاكم على الساعة الأولى من نهار الأربعاء هو روحانية الكاتب. وبالتالي فإنّ يوم الأربعاء العطاردي الكاتب الإيلاجي يتألّف من الساعات الأربعة والعشرين الموزّعة على كلّ الأسبوع الحاكمة فيها هذه الروحانية. وطبيعة الكاتب وفلكه ممتزجة من الطبائع الأربعة. ولهذا ساعدت روحانيته روحانيات الكواكب الستة الأخرى كلها باختلاف طبائعها، وكان من شأنها مزج اليابسات بالرطوبات وغيرهما من المتضادّات.

٤١) الحاكم على الساعة الأولى من نهار الخميس هو روحانية المشتري. ولهذا فإنّ يوم المشتري للخميس الإيلاجي يتألّف من الساعات الأربعة والعشرين الموزّعة على كلّ الأسبوع الحاكمة فيها هذه الروحانية. وطبيعة المشتري وفلكه هوائية حارة رطبة. ولهذا ساعدتها الأفلاك الستة الأخرى

بنصف قوتها الطبيعية، إلا فلك زحل الترابي السابع لأنّ برودته ويبوسته معاكسة للحرارة والرطوبة. فساعدها فلك القمر المائي وفلك الزهرة المائي ببرودتهما، وفلك الشمس الرابع وفلك المريخ الخامس بحرارتهما، وفلك الكاتب بحرارته ورطوبته المشكّلان لنصف طبائعه الأربعة الممتزجة.

وبمقتضى طبع هذا اليوم الإيلاجي الهوائي كان الشأن الإلهي فيه السيلان والتحليل. والهواء في عالم الحس مناسب للهوي في عالم النفس وإلى هذا أشار الشيخ بكلامه هنا عن غلبة الهوى على العشاق. وقوله أنّ دعاءهم يكون مجابا إذا التجؤوا فيه إلى الله تعالى يشير إلى أنّ كوكب المشتري هو كوكب السعد الأكبر، وملائكة سمائه تؤمّن على دعاء الدّاعين فتكون الإجابة من الله تعالى، وهو الوالي على الساعة الأخيرة من نهار الجمعة المحكوم تحت روحانية الزهرة السعيدة، وهي ساعة الإجابة كما سبق بيانه. وإشارة الشيخ هنا إلى الهياكل ربّما تشير إلى علم الأوفاق في علم أسرار الحروف والأعداد. فمن المعلوم أنّ لكل كوكب الوفق المناسب له ولتصريفه في أيّام السلخ وساعات أيّام الإيلاج. فلزحل الوفق المثلث، وللمشترى المربّع، وللمريخ المخّمس، وللشمس المسدّس، وللزهرة المسبّع، وللكاتب المثمّن، وللقمر المتسّع.

٤٢) الحاكم على الساعة الأولى من نهار الجمعة هو روحانية الزهرة. ولهذا فإنّ يوم الجمعة الزهرائي الإيلاجي يتألّف من الساعات الأربعة والعشرين الموزّعة على كلّ الأسبوع الحاكمة فيها هذه الروحانية. وطبيعة الزهرة وفلكها كطبيعة القمر مائية باردة رطبة. ولهذا ساعدتها الروحانية القمرية بالقوّتين البرودة والرطوبة. وساعدتها روحانية فلك زحل السابع

الترابي بنصف قوّته التي هي البرودة، وروحانية فلك المشتري السادس الهوائية بنصف قوّته التي هي الرطوبة، وروحانية فلك الكاتب الثاني الممتزج من الطبائع الأربعة بنصف قوته وهي الرطوبة مع البرودة. أمّا الطبيعة النارية لفلكي الشمس والمريخ فلم يكن لها دخل في هذا المساعدة لأنها مضادّة للطبيعة المائية.

٤٣) الحاكم على الساعة الأولى من نهار السبت هو روحانية زحل. ولهذا فإنّ يوم السبت الزحلي الإيلاجي يتألّف من الساعات الأربعة والعشرين الموزّعة على كلّ الأسبوع الحاكمة فيها هذه الروحانية. وطبيعة زحل وفلكها ترابي بارد يابس، ولهذا لم تساعدها روحانية فلك المشتري السادس لأنها مناقضة لها هوائية حارة رطبة، بينما ساعدتها الطبيعة النارية لفلك المريخ الخامس وفلك الشمس الرابع بيبوستهما، والطبيعة المائية لفلك الزهرة وفلك القمر ببرودتهما، والطبيعة الممتزجة فلك الكاتب الثاني بالبرودة واليبوسة.

وبمقتضى هذا الطبع الترابي البارد اليابس، كان الشأن الإلهي فيه حفظ صور بقاء العالم وإمساكها وسكونها.

٤٤) التسعة عشر هي البروج الاثني عشرة مع أفلاك السماوات السبعة. ورؤساء ملائكتها هم الولاة على ما يحصل من شؤون إلهيّة في الدّنيا وفي الآخرة.

٤٥) يعني أنّ الفلك المكوكب المحيط بأفلاك السماوات السبعة، هو سقف النار في الآخرة، كما هو سقف عالم الدّنيا في الدّنيا. وهو سطح الجنّة التي سقفها العرش الذي مظهره المحسوس فلك البروج، كما أنّ الفلك

المكوكب هو المظهر المحسوس للكرسي الذي هو مقام الأعراف في الآخرة الفاصل بين عوالم الجنان العلويّة ودركات جهنم السفلية.

٤٦) روى مسلم في صحيحه وغيره قول النبي- صلى الله عليه وسلم-: (إنّ أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون. قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يُلهَمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفَس).

٤٧) روى الترمذي وهو عن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- قال النبيّ - صلى الله عليه وسلم-: (إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها).

٤٨) الحديث فقد الشيخان -بألفاظ مختلفة- عن أبي هريرة وأبي سعيد -رضي الله عنهما- ولفظه عن أبي هريرة عند مسلم: (أن ناساً قالوا لرسول الله: يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال:هل تضارّون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: "فإنكم ترونه كذلك. يجمع الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمّة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فثقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربّنا، فإذا جاء ربّنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربّنا فيتبعونه...) إلى آخر ما جاء في رواية الحديث الطويلة.

٤٩) مدّة "يوم المِثل" يعني به مدّة حُكم برج السنبلة الذي أشار الشيخ إليه بـ"يوم المثل"، لأنه هو البرج الذي خلق الله تعالى عند طالعه آدم- عليه السلام- المخلوق على صورة الرحمن بنص الحديث النبوي الشريف. فصورته مثل للصورة الرحمانية. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١) باعتبار الكاف غير زائدة. يُنظر تفصيل هذا في الباب السابع من الفتوحات، وهو في معرفة بدء الجسوم الإنسانية.

٥٠) نسب الشيخ هذا اليوم إلى الهويّة لقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤)، فنسب يوم هذا المعراج إلى هاء الهويّة من كلمة"إليه".

٥١) عمر يوم دهريّ، يُسمّى مدّة الدورة العرشية، وهو مجموع أحقاب أحكام البروج الاثني عشرة: للحمل ١٢٠٠٠ سنة، وللثور:١١٠٠٠ سنة، وعلى هذا المنوال تسقط ألف سنة بالمرور من برج إلى الذي يليه، فيكون المجموع: ٧٨٠٠٠ سنة.

٥٢) تفصيل هذه التعاليم تنظر في الباب ١٢ من الفتوحات، وهو في معرفة دورة سيّد العالم محمد- صلى الله عليه وسلم- وأنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله تعالى.

٥٣) يعني: ينفعنا بعلم اليقين، ويؤيّدنا بعين اليقين. لمعرفة مقام اليقين وأسراره ينظر في الفتوحات الباب ١٢٢ والباب ١٢٣ .

٥٤)عند افتتاح كتابه هذا وصلاته على سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- قال الشيخ عنه: (وله في كل يوم دقائق، وعلى كل ساعة حقائق). أي أنّ ما من يوم أو من ساعة من أيّام وساعات التكوير والسلخ والتوالج،

إلا ولها نسبة مع الأحوال والخصوصيات المحمّديّة، بل مع أحوال وشؤون كل شيء في العالم. وفي الباب ١٢ من الفتوحات ذكر نبذة من خصوصيات هذا الفلك المحمّدي الأوسع الأسعد فقال، وما بين قوسين توضيح لبعض كلامه:

ألا بـأبي مـن كـان ملكـاً وسـيداً | وآدم بـين المـاء والطـين واقـف
فذاك الرسـول الأبطحـيّ محمّـد | لـه في العُـلي مجْـد تليـد وطـارف
أتى بزمان السعد في آخـر المـدى | وكانت له في كل عصر مواقـف
أتى لانكسار الدّهر يجبر صـدعه | فأثنـت عليـه ألسـن وعـوارف
إذا رام أمـرًا لا يكـون خلافـه | وليس لذاك الأمر في الكون صارف

(وجود الروح المحمدية في عالم الغيب):

اعلم -أيّدك الله- أنه لمّا خلق الله الأرواح المحصورة المدبّرة للأجسام، بالزمان عند وجود حركة الفلك، لتعيين المدة المعلومة عند الله. وكان، عند أوّل خلق الزّمان بحركته، خلق الرّوح المدبّرة: روح محمد - صلى الله عليه وسلم-. ثم صدرت الأرواح عند الحركات، فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة. وأعلمه الله بنبوّته وبشّرَه بها وآدم لم يكن إلا كما قال: "بين الماء والطين". وانتهى الزمان بالاسم "الباطن" في حق محمد - صلى الله عليه وسلم- إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به. (فعند ذلك) انتقل حُكم الزمان في جريانه إلى الاسم "الظاهر"، فظهر محمد - صلى الله عليه وسلم- بذاته جسماً وروحاً. فكان الحُكم له باطناً أوّلا في جميع ما ظهر من الشرَائع على أيدي الأنبياء والرسل - سلام الله عليهم أجمعين-. ثم صار

الحكم له ظاهراً، فنسخ كل شرع أبرزه الاسم "الباطن"، بحكم الاسم "الظاهر"، لبيان اختلاف حكم الاسمين، وإن كان المشرّع واحداً وهو صاحب الشرع. فإنه قال: "كنت نبيّا"، وما قال: "كنت إنساناً"، ولا "كنت موجوداً". وليست النبوّة إلا بالشرع المقرر عليه من عند الله. فأخبر أنه صاحب النبوة قبل وجود الأنبياء الذين هم نوّابه في هذه الدنيا، كما قرّرناه فيما تقدم من أبواب هذا الكتاب.

(استدارة الزمان):

فكانت استدارته (أي الزمان) انتهاء دورته بالاسم "الباطن"، وابتداء دورة أخرى بالاسم "الظاهر". فقال (صلى الله عليه وسلم): "استدار كهيئته يوم خلقه الله"، في نسبة الحكم لنا ظاهراً، كما كان في الدورة الأولى منسوباً إلينا باطناً، أي إلى محمد، وفي الظاهر منسوباً إلى من نُسب إليه من شرع إبراهيم وموسى وعيسى وجميع الأنبياء والرسل.

(الأنبياء الحرم والأشهر الحُرُم):

وفي الأنبياء من الزمان أربعة حُرُم: هود وصالح وشعيب - سلام الله عليهم-، ومحمد - صلى الله عليه وسلم-. وعيْنها من الزمان: ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم ورجب مضر. ولمّا كانت العرب تنسأ فى الشهور: فترُدّ المحرّم منها حلالا والحلال منها حراماً، وجاء محمد - صلى الله عليه وسلم- فردّ الزمان إلى أصله الذي حَكم الله به عند خلقه. فعيّن الحُرم من الشهور على حدّ ما خلقها الله عليه. فلهذا قال في اللسان الظاهر: "إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله". كذلك استدار الزمان، فأظهر محمداً - صلى الله عليه وسلم- كما ذكرناه جسماً وروحاً بالاسم 'الظاهر'

حساً. فنسخ من شرعه المتقدّم ما أراد الله أن ينسخ منه، وأبقى ما أراد الله أن يبقى منه، وذلك من الأحكام خاصة لا من الأصول.

(ظهوره صلى الله عليه وسلم في دورة برج الميزان):

ولّما كان ظهوره بالميزان (أي أنه - صلى الله عليه وسلم- ظهر بجسمه في بداية حُكم برج الميزان، الذي له طبع الهواء، ومدّة حكمه ستة آلاف سنة)، وهو العدل في الكون، وهو معتدل لأنّ طبعه الحرارة والرّطوبة، كان مِن حُكم الآخرة، فإنّ حركة الميزان متصلة بالآخرة إلى دخول الجنة والنار. ولهذا كان العلم في هذه الأمّة أكثر ممّا كان في الأوائل. وأعطِي محمد - صلى الله عليه وسلم- علم الأوّلين والآخرين لأن حقيقة الميزان تعطي ذلك. وكان الكشف أسرع في هذه الأمة ممّا كان في غيرها، لغلبة البرد واليُبْس على سائر الأمم قبلنا (أي لأنّ البرج السابق لبرج الميزان برج السنبلة طبعه ترابي بارد يابس)، وإن كانوا أذكياء وعلماء فآحاد منهم معيّنون، بخلاف ما هم الناس اليوم عليه.

ألا ترى هذه الأمّة قد ترجمت جميع علوم الأمم؟ ولو لم يكن المترجم عالماً بالمعنى الذي دلّ عليه لفظ المتكلم به لما صحّ أن يكون هذا مترجماً، ولا كان ينطلق على ذلك اسم الترجمة. فقد علمت هذه الأمّة علم من تقدّم، واختصت بعلوم لم تكن للمتقدّمين. ولهذا أشار - صلى الله عليه وسلم- بقوله: "فعلمت علم الأولين" وهم الذين تقدّموه، ثم قال: "والآخرين" وهو علم ما لم يكن عند المتقدّمين، وهو ما تعلمه أمّته من بعده إلى يوم القيامة. فقد أخبر أنّ عندنا علو ما لم تكن قبل. فهذه شهادة من النبي - صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق بذلك.

(السيادة المحمدية في العلم والحُكم):

فقد ثبتت له – صلى الله عليه وسلم– السيادة في العلم في الدنيا، وثبتت له أيضاً السيادة في الحكم حيث قال: "لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني". ويبين ذلك عند نزول عيسى -عليه السلام-، وحُكمه فينا بالقرآن. فصحّت له السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى. ثم أثبت السيادة له على سائر الناس يوم القيامة بفتحه باب الشفاعة. ولا يكون ذلك لنبي يوم القيامة إلا له – صلى الله عليه وسلم–، فقد شفع – صلى الله عليه وسلم– في الرّسل والأنبياء أن تشفع، فعم، و(شفع أيضا) في الملائكة. فأذن الله تعالى عند شفاعته في ذلك لجميع من له شفاعة من ملك ورسول ونبي ومؤمن أن يشفع.

فهو – صلى الله عليه وسلم– أوّل شافع بإذن الله، و"أرحم الراحمين" آخر شافع يوم القيامة: فيشفع "الرّحيم" عند "المنتقم" أن يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط، فيخرجهم "المنعم المتفضل". وأي شرف أعظم من دائرة تدار يكون آخرها "أرحم الراحمين"؟ وآخر الدائرة متصل بأوّلها. فأيّ شرف أعظم من شرف محمد – صلى الله عليه وسلم– حيث كان ابتداء هذه الدائرة، حيث اتصل بها آخرُها لكمالها؟ فبه سبحانه ابتدأت الأشياء وبه كملت. وما أعظم شرف المؤمن حيث تلت شفاعته بشفاعة "أرحم الراحمين". فالمؤمن بين الله وبين الأنبياء.

فإنّ العلم في حق المخلوق، وإن كان له الشرف التام الذي لا تجهل مكانته، ولكن لا يعطى السعادة في القرب الإلهي إلا بالإيمان. فنور الإيمان في المخلوق أشرف من نور العلم الذي لا إيمان معه. فإذا كان الإيمان يحصل

عنه العلم، فنور ذلك العلم المولد من نور الإيمان أعلى، وبه يمتاز على المؤمن الذي ليس بعالم. فـ"يرفع الله الذين أوتوا العلم" من المؤمنين "درجات" على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم. ويريد العلم بالله، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول لأصحابه: "أنتم أعلم بمصالح دنياكم".

(الخصائص المحمدية من وحي السماوات السبع):

فلا فلك أوسع من فلك محمد – صلى الله عليه وسلم–، فإنّ له الإحاطة. وهي لمن خصه الله بها من أمّته بحُكم التبعية. فلنا الإحاطة بسائر الأمم، ولذلك كنا شهداء على الناس. فأعطاه الله من وحي أمر السموات ما لم يعط غيره في طالع مولده:

– فمِن الأمر المخصوص بالسماء الأولى من هناك (أي سماء كوكب زحل الذي له طبع التراب البارد اليابس، فله صفة الثبات والاستقرار. والمتوحّه على إيجاد هذه السماء هو الاسم "الرب"، الذي من معانيه: "الثابت"): لم يبدّل حرف من القرآن ولا كلمة. ولو ألقى الشيطان في تلاوته ما ليس منها بنقص أو زيادة لنسخ الله ذلك. وهذا عصمة. ومن ذلك الثبات: ما نُسِختْ شريعته بغيرها، بل ثبتت محفوظة، واستقرت بكل عين ملحوظة، ولذلك تستشهد بها كل طائفة.

– ومن الأمر المخصوص بالسماء الثانية من هناك أيضا (أي سماء كوكب المشتري،الذي طبعه الهواء الحارّ الرّطب، فهي سماء الحياة والسعادة والقبول والرحمة، والمتوجّه على إيجادها هو الاسم "العليم"): خُصّ بعلم الأوّلين والآخرين، والتؤدة والرحمة والرفق: "وكان بالمؤمنين رحيماً"، وما أظهر في وقت غلظة على أحد إلا عن أمر إلهيّ حين قيل له: "جاهد الكفار

والمنافقين واغلظ عليهم"، فأمِر به لمّا لم يقتض طبعه ذلك. وإنْ كان بشراً يغضب لنفسه ويرضى لنفسه، فقد قدّم لذلك دواء نافعاً يكون في ذلك الغضب رحمة من حيث لا يُشعر بها في حال الغضب. فكان يدلّ بغضبه مثل دالته برضاه، وذلك لأسرار عرفناها ويعرفها أهل الله منا. فصحّت له السيادة على العالم من هذا الباب. فإنّ غير أمّته قيل فيهم: "يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون"، فأضلّهم الله على علم. وتولّى الله فينا حفظ ذكره فقال: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"، لأنه سمع العبد وبصره ولسانه ويده. واستحفظ كتابه غير هذه الأمّة فحرّفوه.

- ومن الأمر المخصوص من وحي السماء الثالثة من هناك أيضاً (أي سماء كوكب المرّيخ الأحمر، الذي طبعه ناري حار يابس، ومعدنه الحديد، والمتوجّه على إيجادها الاسم"القاهر"، ومن شؤونها الحروب والأضاحي والدّماء): السيف الذي بعثه به، والخلافة. واختص بقتال الملائكة معه منها أيضاً. فإنّ ملائكة هذه السماء قاتلت معه يوم بدر. ومن هذه السماء أيضاً بُعث من قوم ليس لهم همّة إلا في قِرَى الأضياف، ونحر الجُزر، والحروب الدائمة وسفك الدماء، وبهذا يتمدّحون ويمدحون (...). فهذا كله من الأمر الذي يتنزل بين السماء والأرض، لمن فهم. ولو ذكرنا على التفصيل ما في كل سماء من الأمر الذي أوحى الله سبحانه فيها، لأبرزنا من ذلك عجائب، ربّما كان ينكرها بعض من ينظر في ذلك العلم من طريق الرّصد والتسيير من أهل التعاليم، ويحار المنصف منهم فيه إذا سمعه.

- ومن الوحي المأمور به في السماء الرّابعة (هي سماء الشمس القطبية القلبية، التي بها حياة العالم الدنيوي، والمتوجّه على إيجادها هو الاسم

"النور"): نسْخُه بشريعته جميع الشرائع، وظهور دينه على جميع الأديان، عند كل رسول ممّن تقدّمه، وفي كل كتاب منزل. فلم يبق لدين من الأديان حُكم عند الله إلا ما قرّر منه. فبتقريره ثبت، فهو من شرْعه وعموم رسالته. وإنْ كان بقي من ذلك حكم فليس هو من حكم الله، إلا في أهل الجزية خاصة. وإنما قلنا: ليس هو حكم الله، لأنه سماه باطلا. فهو على من اتبعه، لا له. فهذا (ما) أعني بظهور دينه على جميع الأديان. كما قال النابغة في مدحه:

ألم تـــر أن الله أعطـــاك ســـورة ... ترى كـل ملـك دونهـا يتذبـذب

بأنـك شـمس والملـوك كواكـب ... إذا طلعت لم يبد مـنهن كوكـب

وهذه منزلة محمد – صلى الله عليه وسلم– ومنزلة ما جاء به من الشرع، من الأنبياء وشرائعهم – سلام الله عليهم أجمعين–. فإنّ أنوار الكواكب اندرجت في نور الشمس. فالنهار لنا، والليل وحده لأهل الكتب "إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون". وقد بسطنا في "التنزلات الموصلية" من أمر كل سماء، ما إذا وقفت عليه عرفت بعض ما في ذلك.

ومن الوحي المأمور به في السماء الخامسة من هناك (أي سماء كوكب الزهرة، حيث روحانية يوسف –عليه السلام–، وطبعها مائي بارد رطب، وهي سماء الزينة والجمال والنكاح وعوالم الخيال الممدّة للشعراء) المختص بمحمد –صلى الله عليه وسلم–، أنه ما ورد قط عن نبيّ من الأنبياء أنه "حُبّب إليه النساء" إلا محمد – صلى الله عليه وسلم–، وإنْ كانوا قد رُزقوا منهن كثيراً، كسليمان –عليه السلام– وغيره. ولكن كلامنا في كونه "حُبب

إليه". وذلك أنه – صلى الله عليه وسلم–"كان نبيّا وآدم بين الماء والطين" كما قرّرناه، وعلى الوجه الذي شرحناه. فكان منقطعاً إلى ربّه لا ينظر معه إلى كون من الأكوان، لشغله بالله عنه. فإنّ النبي مشغول بالتلقي من الله ومرَاعاة الأدب، فلا يتفرغ إلى شيء دونه. فحَبب الله إليه النساء، فأحبّهن عناية من الله بهن. فكان – صلى الله عليه وسلم– يحبّهن بكون الله حبّبهن إليه. خرّج مسلم في "صحيحه" في أبواب الإيمان: "أنّ رجلاً قال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم–: إني أحبّ أن يكون نعلي حسناً وثوبي حسناً. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: إنّ الله جميل يحب الجمال". ومن هذه السماء حبّ الطيب. وكان من سنته النكاح لا التبتل. وجعل النكاح عبادة للسرّ الإلهي الذي أودع فيه، وليس إلا في النساء. وذلك ظهور الأعيان للثلاثة الأحكام، التي تقدم ذكرها: في الإنتاج عن المقدّمتين، والرّابط الذي جعله علة الإنتاج. فهذا الفضل وما شاكله مما اختص به محمد –صلى الله عليه وسلم–. وزاد فيه بنكاح الهبة. كما جعل في أمّته، فيما يبين لها من النكاح، لمن لا شيء له من الأعواض، بما يحفظه من القرآن خاصة، لا أنه يعلمها. وهذا وإن لم يقو قوّة الهبة، ففيه اتساع للأمّة. وليس في الوسع استيفاء ما أوحى الله من الأمر في كل سماء.

ومن الأمر الموحي في السماء السادسة (أي سماء كوكب الكاتب، حيث كلمة الله عيسى –عليه السلام–، ومنها يقع الإمداد للكتاب والخطباء، والمتوجّه على إيجادها الاسم: "المحصي"):إعجاز القرآن. والذي أعطيه – صلى الله عليه وسلم– من "جوامع الكلم"، من هذه السماء تتنزل إليه ولم يُعط ذلك نبي قبله. وقد قال: "أعطيت ستاً لم يعطهن نبي قبلي".

(الخصوصيات المحمدية الستة وسماواتها):

وكلّ ذلك أوحي في السموات من قوله: (وأوحي في كل سماء أمرها). فجعل في كل سماء ما يصلح تنفيذه في الأرض في هذا الخلق:

فكان من ذلك أن بعث وحده إلى الناس كافة، فعمّت رسالته، وهذا مما أوحى الله به في السماء الرابعة (أي لأنها السماء القطبية الجامعة التي منها حياة الجميع).

ونصر بالرّعب، وهو مما أوحى الله به في السماء الثالثة من هناك (أي لأنها سماء المريخ الأحمر سماء الحرب والجهاد).

ومنها ما حلّل الله له من الغنائم، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، من السماء الثانية من هناك (أي لأنها سماء البسط والوسع والعلم والرحمة والسعادة)

(ومنها قوله): "أوتيت جوامع الكلم"، من أمر وحي السماء السادسة (أي لأنها الممدة للخطباء والكتاب، ولأنّ طبعها ممتزج جامع لكل الطبائع، ولجمعيتها هذه ذكر الشيخ في فصلها هذا أمورا تتعلق بالسماوات الستة الأخرى). ومن أمر هذه السماء ما خصه الله به من إعطائه إياه مفاتيح خزائن الأرض.

ومن الوحي المأمور به في السماء السابعة من هناك وهي السماء الدنيا التي تلينا (أي سماء كوكب القمر، أو الإنسان المفرد، حيث روحانية الأب الأول سيدنا آدم -عليه السلام- أوّل الخلفاء المخلوق على صورة الرحمن): كون الله خصه بصورة الكمال، فكملت به الشرائع، وكان خاتم النبيّين. ولم يكن ذلك لغيره - صلى الله عليه وسلم-.

فبهذا وأمثاله انفرد بالسيادة الجامعة للسيادات كلها، والشرف المحيط الأعم -صلى الله عليه وسلم-.

فهذا قد نبّهنا على ما حصل له في مولده من بعض ما أوحى الله به في كل سماء من أمره.

(برج الميزان والزمان المحمّدي):

... فكان أوّل وجود الزمان في (برج) الميزان، للعدل الروحاني، وفي الاسم "الباطن" لمحمد - صلى الله عليه وسلم-، بقوله: "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين". ثم استدار بعد انقضاء دورة الزمان التي هي ثمانية وسبعون ألف سنة (أي دورة كاملة لفلك البروج). ثم ابتدأت دورة أخرى من الزمان بالاسم "الظاهر"، فظهر فيها جسم محمد - صلى الله عليه وسلم- وظهرت شريعته على التعيين والتصريح، لا بالكتابة. واتصل الحكم بالآخرة فقال تعالى: "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة". وقيل لنا: "وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان". وقال تعالى: "والسماء رفعها ووضع الميزان".

فبالميزان أوحى في كل سماء أمرها، وبه قدّر في الأرض أقواتها، ونصبه الحق في العالم في كل شيء: فميزان معنوي، وميزان حسي لا يخطي أبداً. فدخل الميزان في الكلام وفي جميع الصنائع المحسوسة، وكذلك في المعاني، إذ كان أصل وجود الأجسام والأجرام وما تحمله من المعاني عند حكم (برج) الميزان. وكان وجود الميزان، وما فوق الزمان، عن الوزن الإلهي الذي يطلبه الاسم "الحكيم"، ويظهره "الحكم العدل لا إله إلا هو". وعن (حركة برج) الميزان ظهر (برج) العقرب وما أوحى الله فيه من الأمر الإلهي،

والقوس والجدي والدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة، وانتهت الدورة الزمانية إلى الميزان، لتكرار الدور.

فظهر محمد - صلى الله عليه وسلم-. وكان له في كل جزء من أجزاء الزمان حكم، اجتمع فيه بظهوره صلى الله عليه وسلم. وهذه الأسماء (أي أسماء البروج) أسماء ملائكة خلقهم الله، وهم الاثنا عشر ملكاً. وجعل لهم الله مراتب في الفلك المحيط. وجعل بيد كل ملك ما شاء أن يجعله ممّا يبرزه، فيمن هو دونهم إلى الأرض، حكمة. فكانت روحانية محمد - صلى الله عليه وسلم- تكتسب، عند كل حركة من الزمان، أخلاقا بحسب ما أودع الله في تلك الحركات من الأمور الإلهية. فما زالت تكتسب هذه الصفات الروحانية قبل وجود تركيبها، إلى أن ظهرت صورة جسمه في عالم الدنيا بما جبله الله عليه من الأخلاق المحمودة، فقيل فيه: "وإنك لعلى خلق عظيم". فكان "ذا خلق"، ولم يكن "ذا تخلق".

ولّما كانت الأخلاق تختلف أحكامها باختلاف المحال التي ينبغي أن تقابل بها، احتاج صاحب الخلق إلى علم يكون عليه، حتى يصرف في ذلك المحل الخلق الذي يليق به عن أمر الله، فيكون قربة إلى الله. فلذلك تنزلت الشرائع لتبين للناس محال أحكام الأخلاق التي جبل الإنسان عليها. فقال الله في مثل ذلك: "ولا تقل لهما أف" لوجود التأفيف في خلقه. فأبان عن المحل الذي لا ينبغي أن يظهر فيه حكم هذا الخلق. ثم بين المحل الذي ينبغي أن يظهر فيه هذا الخلق فقال: "أف لكم ولما تعبدون من دون الله". وقال تعالى: "فلا تخافوهم" فأبان عن المحل الذي ينبغي أن لا يظهر فيه خلق الخوف، ثم قال لهم: "وخافوني" فأبان لهم حيث ينبغي أن يظهر

حكم هذه الصفة. وكذلك الحسد والحرص وجميع ما في هذه النشأة الطبيعية، الظاهر حكم روحانيتها فيها، قد أبان الله لنا حيث نظهرها وحيث نمنعها. فإنه من المحال إزالتها عن هذه النشأة إلا بزوالها، لأنها عينها، والشيء لا يفارق نفسه. قال صلى الله عليه وسلم: "لا حسد إلا في اثنتين"، وقال: "زادك الله حرصاً ولا تعد".

وإنما قلنا: "الظاهر حكم روحانيتها فيها": تحرّزْنا بذلك من أجل أهل الكشف، والعلماء الرّاسخين في العلم من المحققين العالمين. فإنّ المسمى بالجماد والنبات عندنا لهم أرواح بطنت عن إدراك غير أهل الكشف إياها في العادة، لا يحس بها مثل ما يحسها من الحيوان. فالكل عند أهل الكشف حيوان ناطق، بل حي ناطق. غير أن هذا المزاج الخاص يسمى إنساناً لا غير بالصورة. ووقع التفاضل بين الخلائق في المزاج. فإنه لابد في كل ممتزج، من مزاج خاص لا يكون إلا له، به يتميز عن غيره في أمر (مّا)، فلا يكون عين ما يقع به الافتراق والتميز عين ما يقع به الاشتراك وعدم التميز. فاعلم ذلك وتحققه.

علوم الأبدال السبعة أقطاب الأقاليم الأرضية السبعة المناسبة لروحانيات السماوات السبعة، وما بين قوسين توضيح لكلام الشيخ:

في الباب ١٥ من الفتوحات بيّن الشيخ طرفا من هذه العلوم فقال عن قطب عالم الأنفاس إمام الحكماء مداوي الكلوم الذي هو النبيّ إدريس- عليه السلام-:

وهذا الإمام هو الذي أعلم أصحابه أنّ ثمّ رجالا سبعة يقال لهم "الأبدال"، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بدل إقليم، وإليهم تنظر

روحانيات السماوات السبع، ولكل شخص منهم قوة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السماوات، وهم إبراهيم الخليل، يليه موسى، يليه هارون، يتلوه إدريس، يتلوه يوسف، يتلوه عيسى، يتلوه آدم - سلام الله عليهم أجمعين-. وأمّا يحيى فله تردّد بين عيسى وبين هارون.

فينزل على قلوب هؤلاء الأبدال السبعة من حقائق هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، وتنظر إليهم هذه الكواكب السبعة بما أودع الله تعالى في سباحاتها في أفلاكها، وبما أودع الله في حركات هذه السماوات السبع من الأسرار والعلوم والآثار العلويّة والسفلية، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾. فلهم في قلوبهم في كل ساعة، وفي كلّ يوم بحسب ما يعطيه صاحب تلك الساعة وسلطان ذلك اليوم.

- فكل أمر علميّ يكون في يوم الأحد: فمن مادة إدريس - عليه السلام-. وكلّ أثر علوي يكون في ذلك اليوم في عنصر الهواء والنار فمن سباحة الشمس ونظرها المودع من الله تعالى فيها. وما يكون من أثر في عنصر الماء والتراب في ذلك اليوم فمن حركة الفلك الرّابع (لأنّ الطاقة المنبعثة من الكوكب هي الفعّالة بالخصوص في ألطف الأركان الأربعة، أي النار والهواء؛ والطاقة المنبثّة من فلك الكوكب هي المؤثّرة بالخصوص في أكثف الأركان، أي الماء والترَاب)

وموضع هذا الشخص الذي يحفظه من الأقاليم الإقليم الرّابع (وهو أوسط الأقاليم كما أنّ فلك الشمس هو أوسط الأفلاك). فممّا يحصل لهذا الشخص المخصوص من الأبدال بهذا الإقليم من العلوم: علم أسرار الرّوحانيات، وعلم النور والضياء، وعلم البرق والشعاع، وعلم كل جسم

مستنير، ولماذا استنار، وما المزاج الذي أعطاه هذا القبول، مثل الحباحب من الحيوان، وكأصول شجر التين من النبات، وكحَجر المَها والياقوت، وبعض لحوم الحيوان (وذلك لأنّ الاسم المتوجّه على إيجاد هذا الفلك الشمسي هو اسمه تعالى: "النور")، وعلم الكمال في المعدن والنبات والحيوان والإنسان والمَلَك (وذلك لأنّ هذه السماء الرّابعة هي المكان الإدريسي العليّ القطب الدّائم لعالم الدّنيا كما بيّنه الشيخ في بداية الباب ٧٣ من الفتوحات، والأقطاب في كلّ زمان نوّابه وهم الكمّل ومن مقامهم يسري الكمال في مراتب العالم)، وعلم الحركة المستقيمة حيثما ظهرت في حيوان أو نبات (المقصود بالحركة المستقيمة هنا هي الحركة الدّورية لا الخطّيّة. ففي العديد من نصوصه يؤكّد الشيخ على أنّ الحركات الوجودية كلّها دوريّة: ينظر مثلا في الفتوحات الباب ٣٣٢ المتعلق بسورة الطور)، وعلم معالم التأسيس (لأنّ المكان القطبي القلبي الشمسي ومكانته القطبية هو أساس حركات وحياة الكواكب السيّارة الأخرى والأراضي)،وأنفاس الأنوار (لأنّ الشمس منبع النور ومعه أنفاس الحياة، قال تعالى: "والصبح إذا تنفّس")،وعلم خلع الأرواح المدبّرَات (لأنّ الأرواح مقترنة بالحياة المقترنة بأنفاس النور الشمسي القطبي)، وإيضاح الأمور المبهمات، وحلّ المشكل من المسائل الغامضة (هذا الإيضاح وحلّ الغوامض من مقتضيات النور المعنوي)، وعلم النغمات الفلكية والدولابية وأصوات آلات الطرب من الأوتار وغيرها، وعلم المناسبة بينها وبين طبائع الحيوان، وما للنبات منها (وذلك لأنّ الفلك الشمسي هو منبع الأنفاس، وأنفاس الهواء هي الحاملة للأنغام المِؤثرة في الأمزجة الحيّة تبعا لتركيب أخلاطها)، وعلم ما إليه تنتهي المعاني الرّوحانية والروائح العطرية، وما المزاج الذي عطّرَها،

ولماذا ترجع، وكيف ينقلها الهواء إلى الإدراك الشمِّي، وهل هو جوهر أو عَرض. كلّ ذلك يناله ويعلمه صاحب ذلك الإقليم في ذلك اليوم، وفي سائر الأيّام في ساعات حُكم حركة ذلك الفلك (أي ساعات يوم الأحد الإيلاجي الأربعة والعشرون الموزّعة على كامل الأسبوع، وهي ساعات حُكم روحانية الشمس)، وحكم ما فيه من الكواكب، وما فيه من روحانية النبيّ. هكذا إلى تمام دورة الجمعة.

- وكل أمر علميّ يكون في يوم الاثنين فمن روحانية آدم -عليه السلام-: وكلّ أثر علويّ في عنصر الهواء والنار فمن سباحة القمر، وكل أثر سفلي في عنصر الماء والتراب فمن حركة فلك السماء الدنيا.

وهذا الشخص الإقليم السابع. فما يحصل لهذا البدل من العلوم في نفسه في يوم الاثنين، وفي كل ساعة من ساعات أيّام الجمعة ممّا يكون لهذا الفلك حُكم فيها: علم السعادة والشقاء (لأنّ من بني آدم من هو سعيد ومن هو شقي)، وعلم الأسماء وما لها من الخواص (لأنّ الله تعالى علّم آدم- عليه السلام- الأسماء كلها)، وعلم المدّ والجزر والرّبو والنقص (لأنّ هذه الظواهر الطبيعيّة متعلّقة بحركة القمر ومنازله وزيادة نوره ونقصانه خلال الشهر).

- وكل أمر علمي يكون في يوم الثلاثاء فمن روحانية هارون -عليه السلام-: وكل أثر علوي في عنصر النار والهواء فمن روحانية الأحمر. وكل أثر سفلي في ركن الماء والتراب فمن حركة الفلك الخامس.

ولهذا البدل من الأقاليم الإقليم الثالث، فما يعطيه من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام: علم تدبير المُلك وسياسته (لأنّ الاسم المتجّه على إيجاد سماء فلك المريخ الأحمر هو الاسم: "القهّار"، ومعدنه المناسب

هو الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس كالسلطان)، وعلم الحميّة والحماية وترتيب الجيوش والقتال ومكايد الحروب (لأنّ روحانية هذا الكوكب قهّارة)، وعلم القرابين وذبح الحيوان (لأنّ الاسم المتوجّه على إيجاد الحيوان هو الاسم "المذلّ"، فهو مقهور تحت حُكم هذه السماء الحمراء)، وعلم أسرار أيام النحر وسريانه في سائر البقاع، وعلم الهُدى والضلال وتميّز الشبهة من الدليل (لأنّ الحاكم القاهر للضالّين هو الاسم "المضلّ"، والآخذ بناصية المهتدين هو الاسم "الهادي". وبين الهدى والضلال برازخ الشبهات).

- وكلّ أمر علميّ يكون في يوم الأربعاء فمن روحانية عيسى -عليه السلام-، وهو يوم النور (هو اليوم القطبي في الأسبوع: قبله ثلاثة أيّام وبعده ثلاثة أيّام. والحاكم على ليلته في أوّل ساعة منها هو روحانية كوكب الكاتب - أي عطارد- الحاكمة أيضا على ليلة يوم الأحد الشمسي النوراني)، وكان له (أي لعيسى- عليه السلام-) نظر إلينا في دخولنا في هذا الطريق التي نحن اليوم عليها. وكل أثر في عنصر النار والهواء فمن روحانية سباحة الكاتب في فلكه. وكل أثر سفلي في ركن الماء والتراب فمن حركة فلك السماء الثانية.

وللبدل صاحب هذا اليوم الإقليم السادس. وممّا يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعته من الأيام: علم الأوهام والإلهام والوحي والآراء والأقيسة والرؤيا والعبادة والاختراع الصناعي والعطردة، وعلم الغلط الذي يعلق بعين الفهم، وعلم التعاليم، وعلم الكتابة والآداب والزّجر والكهانة والسحر والطلسمات والعزائم.

- وكل أمر علمي يكون في يوم الخميس فمن روحانية موسى -عليه السلام-: وكل أثر علويّ في ركن النار والهواء فمن سباحة المشتري. وكل أثر سفلي في عنصر الماء والتراب فمن حركة فلكه.

ولهذا البدل من الأقاليم الإقليم الثاني. وممّا يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيّام: علم النيات والنواميس (لأنّ الاسم المتوجّه على إيجاد هذا السماء وفلكها وكوكبها ويومها هو الاسم "العليم")، وعلم أسباب الخير ومكارم الأخلاق، وعلم القرُبات، وعلم قبول الأعمال، وأين تنتهي بصاحبها.

- وكل أمر علمي يكون في يوم الجمعة يكون لهذا الشخص الذي يحفظ الله به الإقليم الخامس فمن روحانية يوسف -عليه السلام-: وكل أثر علوي يكون في ركن النار والهواء فمن نظر كوكب الزّهرة. وكل أثر سفلي في ركن الماء والأرض فمن حركة فلك الزهرة، وهو من الأمر الذي أوحى الله في كلّ سماء. وهذه الآثار هي الأمر الإلهي الذي يتنزل بين السماء والأرض، وهو في كلّ ما يتولّد بينهما بين السماء بما ينزل منها، وبين الأرض بما تقبل من هذا النزول كما يقبل رحم الأنثى الماء من الرجل للتكوين، والهواء الرّطب من الطير. قال تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. والقدرة ما لها تعلّق إلا بالإيجاد. فعلمنا أنّ المقصود بهذا التنزل إنما هو التكوين (إنما ذكر الشيخ هذا التكوين والتوليد في هذه الفقرة المناسبة لسماء الزهرة، لأنّ من شأنها الإلهي الأمور المتعلقة بالزواج والجمال والنكاح وما ينتج عنه). وممّا يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام: علم التصوير

من حضرة الجمال والأنس (لأنّ الاسم المتوجّه على هذه الحضرة الجمالية هو: "المصوّر")، وعلم الأحوال.

- وكل أمر علمي يكون في يوم السبت لهذا البدل الذي له حفظ الإقليم الأول فمن روحانية إبراهيم الخليل -عليه السلام-: وما يكون فيه من أثر علوي في ركن النار والهواء فمن حركة كوكب كيوان (أي زحل) في فلكه. وما كان من أثر في العالم السفلي: ركن الأرض والماء فمن حركة فلكه. يقول تعالى في الكواكب السيارة: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، فخلقها للاهتداء بها.

وممّا يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من باقي الأيّام ليلا ونهارا: علم الثبات والتمكين، وعلم الدوام والبقاء (لأنّ الاسم المتوجّه على إيجاد هذه الحضرة هو الاسم "الربّ" الذي من معانيه: "الثابت").

الذكر الدّائم لكلّ واحد من هؤلاء الأبدال السبعة

وعلّم هذا الإمام (أي إدريس مداوي الكلوم- عليه السلام-) بمقامات هؤلاء الأبدال وهجّيرَاهم (أي ذكرهم الدائم الملازمون له).وقال:

- إنّ مقام الأوّل وهجيره: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١). وسبب ذلك كون الأوّلية له، إذ لو تقدّم له مِثل لما صحّت له الأولية. فذكره مناسب لمقامه.

- ومقام الشخص الثاني في هجيره: ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ (الكهف: ١٠٩). وهو مقام العلم الإلهي، وتعلّقه لا ينتهي، وهو الثاني من الأوصاف. فإنّ أوّل الأوصاف الحياة، ويليه العلم.

- وهجير الشخص الثالث ومقامه: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١)، وهي المرتبة الثالثة. فإنّ الآيات الأول هي الأسماء الإلهية، والآيات الثواني في الآفاق، والآيات التي تلي الثواني في أنفسنا. قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ (فصلت: ٥٣). فلهذا اختص بهذا الهجير الثالث من الأبدال.

- ومقام الرابع في هجيره: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (النبأ: ٤٠)، وهو (أي التراب الأرضي) الركن الرابع من الأركان الذي يطلب المركز عند من يقول به. فليس لنقطة الأكرة أقرب من الأرض. وتلك النقطة كانت سبب وجود المحيط، فهو يطلب القرب من الله موجد الأشياء، ولا يحصل إلا بالتواضع، ولا أنزل في التواضع من الأرض. وهي منابع العلوم وتفجّر الأنهار. وكلّ ما ينزل من المعصرات فإنما هو من بخارات الرّطوبات التي تصعد من الأرض. فمنها تتفجّر العيون والأنهار، ومنها تخرج البخارات إلى الجوّ فتستحيل ماء، فينزل غيثا. فلهذا اختص الرّابع بالرّابع من الأركان.

- ومقام الخامس: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣). ولا يسأل إلا المولود، فإنه في مقام الطفولة، من الطفل وهو الندى. قال تعالى: ﴿أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (النحل: ٧٨). فلا يعلم حتى يسأل. فالولد في المرتبة الخامسة، لأنّ أمّهاته أربعة وهنّ: الأركان، فكان هو العين الخامسة، فلهذا كان السؤال هجير البدل الخامس من بين الأبدال.

- وأمّا مقام السادس: فهجيره: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّـهِ﴾ (غافر: ٤٤)، وهي المرتبة السادسة فكانت للسادس. وإنما كانت السادسة له لأنه في المرتبة

الخامسة كما ذكرنا يسأل وقد كان لا يعلم، فعندما سأل علم، ولمّا علم تحقق بعلمه بربه، ففوّض أمره إليه، لأنه علم أنّ أمره ليس بيده منه شيء، وأنّ الله يَفْعَلُ ما يُرِيدُ. فقال: قد علمت أنّ الله لمّا ملّكني أمري، وهو يفعل ما يريد، علمتُ أنّ التفويض في ذلك أرجح لي، فلذلك اتخذه هجيرا.

- ومقام السابع: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ (الأحزاب: ٧٢). وذلك أنّ لها الرّتبة السابعة، وكان أيضا تكوين آدم المعبّر عنه بالإنسان في الرّتبة السابعة، فإنه عن عقل (أي العقل الأوّل الذي هو القلم الأعلى)، ثم نفس (أي النفس الكلّيّة التي هي اللوح المحفوظ)، ثم هباء (أي مجلى الصور الوجوديّة)، ثم فلك، ثمّ فاعلان (أي الحرارة والبرودة)، ثم منفعلان (أي اليبوسة والرطوبة). فهذه ستة، ثم تكوّن الإنسان الذي هو آدم في الرّتبة السابعة. ولمّا كان وجود الإنسان في (برج) السنبلة، ولها من الزمان في الدلالة سبعة آلاف سنة، فوُجد الإنسان في الرتبة السابعة من المدّة. فما حمل الأمانة إلا من تحقق بالسبعة، وكان هذا هو السابع من الأبدال، فلذلك اتخذ هجيراه هذه الآية.

ثمّ ذكر الشيخ لمداوي الكلوم إدريس - عليه السلام- ستة خلفاء وأشار إلى طرف من علومهم. والمتأمّل في هذه العلوم يرى أنّ علوم كلّ واحد من هؤلاء الخلفاء مناسبة للعلوم المخصوصة بسماء معيّنة. وذكر أنّ منهم لقمان الحكيم الذي عاصر داود- عليه السلام-، أي آلاف السنين بعد إدريس- عليه السلام- الذي عاش قبل الطوفان. وهذا يعني أنّ التسلسل الزمني لهؤلاء الخلفاء ليس على ظاهره، وإنما يشير أنّ في حضارات جُلّ الأمم الكبرى وُجد تراث للحكمة والعلوم الإدريسية توارثه حكماؤها، ومدار

حكمائهم على سبعة منهم، إمامهم الدّائم هو إدريس الشمسي قطب عالم الأنفاس والنور.

العلوم التي يتلقاها السالك العارج بروحه في السماوات:

تكلم الشيخ في العديد من نصوصه ورسائله عن العلوم التي يتحقق بها السالك خلال عروجه الرّوحاني في السماوات. وخصّص في الفتوحات بابين لهذا الموضوع: الباب ١٦٧ وهو في معرفة كيمياء السعادة، وقارن فيه بين ما يتعلّمه السالك التابع للنبيّ المشرّع- صلى الله عليه وسلم- من المسائل الإلهية والروحية والطبيعية، ويأخذها من أرواح الأنبياء أقطاب السماوات، وبين ما يحصّله الشخص المتأمّل بفكره ونظره من القوانين الطبيعية وآثارها في عالم الأجسام. والباب ٣٦٧ المتعلق بسورة الإسراء، وفيه وصف لمعراج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولبعض العلوم التي أخذها الشيخ الأكبر من أنبياء السماوات خلال أحد معارجه، وعنوانه: "منزل التوكّل الخامس الذي ما كشفه أحد من المحققين لقلّة القابلين له وقصور الأفهام عن دركه وهو من الحضرة المحمدية". ومن الأبواب المكمّلة لهذين البابين الباب ١٥ الذي أوضح فيه الشيخ طرفا من علوم مداوي الكلوم الإدريسية، والباب ١٩٨ الذي فصّل فيه مراتب الوجود (من الفصل ١١ إلى الفصل ٣٨)، والفصول التابعة للباب ٣٧١ المتعلق بسورة الرّعد. ومن كتب الشيخ في هذا الموضوع كتاب "عقلة المستوفز"، وكتابه البديع: "الإسراء إلى مقام الأسرى"، وفيه بيان لأحد معرج الشيخ بأسلوب أدبيّ رائع نثرا وشعرا، وهو يشبه في غزارة إلهامه كتابه "تنزّل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك" الذي أبان فيه بإسهاب ارتباط

الصلوات اليومية بالحقائق السماوية. وكتابه "رسالة الأنوار" فيه أيضا تفصيل لبعض ما يُكاشف به العارج عبر مراتب الوجود إلى حضرة الحق المعبود- جلّ جلاله-.

وفي ما يلي خلاصة مختصرة جدا لهذه الرسالة وللباب ١٦٧ من الفتوحات، في ما يتعلق بالسماوات السبع وأفلاك كواكبها.

السماء الأولى:

يتعلّم السالك في هذه السماء من أبيه آدم - عليه السلام- علم الأسماء الإلهية على قدر ما رأى أنه يحمله مزاجه، فإنّ للنشأة الجسمية العنصرية أثرا في النفوس الجزئية، فما كلها على مرتبة واحدة في القبول، فتقبل هذه ما لا تقبل غيرها. وفيها يقف من علم آدم على الوجه الإلهي الخاص الذي لكل موجود سوى الله الذي يحجبه عن الوقوف مع سببه وعلته، والعلم بذلك الوجه هو العلم بالإكسير في الكيمياء الطبيعية، فهذا هو إكسير العارفين. ويُحصِّل ما في هذه السماء من العلم الإلهي الحاصل للنفوس الجزئية ممّا هو لهذا الفلك خاصة، وما نسبة وجود الحق من ذلك، وما له فيهم من الصور، ومن أين صحّت الخلافة لهذه النشأة الإنسانية ولا سيما وآدم المنصوص عليه صاحب هذه السماء، فيعلم صورة الاستخلاف في العلم الإلهي.

وفي هذه الحضرة الآدمية القمرية يعاين المكاشَف نور الطوالع، وصورة التركيب الكلّي (في العالم الكبير وما يضاهيه في العالم الصغير الذي هو الإنسان)،وآداب الدخول إلى الحضرة الإلهية والوقوف بين يدي الحق والخروج من عنده إلى الخلق. ويتحقق بالمشاهدة الدّائمة بالوجوه المختلفة من الظاهر والباطن، والكمال الذي لا يشعر به كلّ أحد، فإنّ كلّ نقص من

الوجه الظاهر يأخذه الوجه الباطن، والذات واحدة فما ثمّ نقص. وآداب استعداد لتلقي العلوم الإلهية والأخذ والعطاء والقبض والبسط، وكيف يُحفظ القلب من الهلاك المحرق، وأنّ الطرُق كلها مستديرة، ما ثمّ طريق خطّيّ. ويعلم المضاهاة بين هذه العلوم الإلهية والروحية وبين القوانين الحاكمة على القمر ودورته وتلقّيه النور الشمسي وزيادة نوره ونقصانه عبر منازله وارتباطه بالدّورة الأرضية، وغير ذلك.

السماء الثانية:

يشهد السالك في هذه السماء العيسوية الثانية: حضرة الخطابة والأوزان، وحسن مواقع الكلام، وامتزاج الأمور، وظهور المعنى الواحد في الصور الكثيرة، ويعرف شرف الكلمات وجوامع الكلم، ومعنى قوله في ناشئة الليل: [إِنَّهَا أَقْوَمُ قِيلًا]. ويعلم حقيقة "كن" واختصاصها بكلمة الأمر لا بكلمة الماضي ولا المستقبل ولا الحال، وظهور الحرْفين من هذه الكلمة مع كونها مركّبة من ثلاثة، ولماذا حُذفت الكلمة الثالثة المتوسطة البرزخية التي بين حرف الكاف وحرف النون، وهي حرف الواو الرّوحانية التي تعطي ما للمُلك في نشأة المكوّن من الأثر مع ذهاب عينها. ويعلم من هذه السماء سرّ التكوين، وكون عيسى- عليه السلام- يُحيي الموتى، وإنشاء صورة الطير ونفخه في صورته وتكوين الطائر طائرا هل هو بإذن الله؟ أو تصوير عيسى خلق الطير ونفخه فيه هو بإذن الله؟ وبأي فعل من الأفعال اللفظية يتعلق قوله: [بِإِذْنِي] وبِإِذْنِ الله هل العامل فيه: [يكون] أو: [تنفخ]؟ فعند أهل الله العامل فيه: [يكون]، وعند مثبتي الأسباب وأصحاب الأحوال العامل فيه: [تنفخ]. فيحصل لمن دخل هذه السماء واجتمع بعيسى ويحيى- عليهما

السلام- علم ذلك ولا بد. ومن هذه السماء يحصل لنفس السالك الحياة العلمية التي تحيى بها القلوب كقوله: [أَو من كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ]. وهي حضرة جامعة فيها من كل شيء، لأنّ طبيعة هذه السماء المزج بين كل الطبائع؛ وفيها المَلَك الموكل بالنطفة في الشهر السادس لأنها هي السماء السادسة نزولا من أعلى، وللنطفة والجنين في كلّ شهر وال من السماوات بدءا من روحانية زحل ونزولا منها حسب الترتيب المعروف للسماوات. ومن هنا تُعلم تقليبات الأمور، وتوهب الأحوال لأصحابها. ويحصل للسالك في هذه الحضرة الفرقان في مرتبة خرق العوائد، ويعلم علم السيمياء الموقوفة على العمل بالحروف والأسماء، لا على البخورات والدِّماء وغيرها. وكلما ظهر في العالم العنصري من النيرنجيات الأسمائية فمن هذه السماء (يعني مزج أسماء وتركيب حروف وكلمات يكون لمزجها بكيفيات معيّنة انفعالات ونتائج معيّنة)، وأمّا القلقطيرات فمن غير هذه الحضرة (يعني مزج روائح بخورات ودماء وموادّ معيّنة لحصول انفعالات معيّنة)، ولكن إذا وُجدت فأرواحها من هذه السماء، لا أعيان صورها الحاملة لأرواحها. وفيها أيضا علم ما يكون عن سبب في مدّة طويلة يكون عن ذلك السبب في لمح البصر أو هو أقرب، وقد ظهر ذلك فيما نقل في تكوين عيسى - عليه السلام-، وفي تكوين خلق عيسى الطائر، وفي إحياء الميت من قبره قبل أن يأتي المخاض للأرض في إبراز هذه المولّدات ليوم القيامة وهو يوم ولادتها. ومن هذه السماء يعلم المكاشف مراتب العلوم النظريّة والأفكار السليمة وصور المغاليط التي تطرأ على الأفهام، والفرق بين الوهم والعلم، وتولّد التكوينات بين عالم الأرواح والأجسام وسبب ذلك التوالد،

وسريان السرّ الإلهي في عالم العناية، وسبب من ترك الكون عن مجاهدة وعن لا مجاهدة.

السماء الثالثة

من العلوم التي يتلقّاها السالك في هذه السماء من روحانية يوسف- عليه السلام-: العلوم المتعلقة بصور التمثل والخيال، فيُحضر الله بين يديه الأرض التي خلقها الله من بقية طينة آدم - عليه السلام- (وهي أرض السمسمة وعوالم الخيال المتصل والمنفصل، وخصص الشيخ لها الباب الثامن من الفتوحات). ويحضر له سوق الجنة؛ وأجساد الأرواح النورية والنارية، والمعاني العلوية، ويعرّفه بموازينها ومقاديرها ونسبها، فيريه السنين في صور البقر، وخصبها في سمنها، وجدبها في عجافها، ويريه العلم في صورة اللبن، والثبات في الدين في صورة القيد، ويعلمه تجسّد المعاني والنسب في صورة الحس والمحسوس، ويعرّفه معنى التأويل في ذلك كله، فإنها سماء التصوير التام والنظام. ومن هذه السماء يكون الإمداد للشعراء، ويعلم فيها السالك معنى الإتقان والإحكام والحسن الذي يتضمّن بوجوده الحكمة والحسن الغرضي الملائم لمزاج خاص، ويعاين عالم التصوير والتحسين والجمال، وما ينبغي أن تكون عليه العقول من الصور المقدّسة، والنفوس النباتية من حسن الشكل والنظام، وسريان الفتوى واللين والرّحمة في الموصوفين بها. ومن هذه الحضرة يكون الإمداد للشعراء ولأذكياء الصنّاع والمهندسين، لإتقان صناعاتهم. ومن السماء التي قبلها يكون الإمداد للخطباء والكتّاب. وفي هذه السماء هو النائب الخامس الذي يتلقى تدبير النطفة في الرحم في الشهر الخامس.

السماء الرّابعة القلبية الشمسية القطبية

في هذه الحضرة يتعلم السالك من روحانية إدريس -عليه السلام- علم تقليب الأمور الإلهية، ومعنى قوله-عليه السلام-: [القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن]، وبماذا يقلِّبانه، ويرى في هذه السماء غشيان الليل النهار والنهار الليل، وكيف يكون كل واحد منهما لصاحبه ذكرا وقتا وأنثى وقتا، وسر النكاح والالتحام بينهما، وما يتولّد فيهما من المولدات بالليل والنهار، والفرق بين أولاد الليل وأولاد النهار، فكل واحد منهما أب لما يولد في نقيضه، وأم لما يولد فيه. ويعلم من هذه السماء علم الغيب والشهادة، وعلم الستر والتجلي، وعلم الحياة والموت، واللباس والسكن والمودّة والرحمة، وما يظهر من الوجه الخاص من الاسم الظاهر في المظاهر الباطنة، ومن الاسم الباطن في الظاهر من حكم استعداد المظاهر، فتختلف على الظاهر الأسماء لاختلاف الأعيان. وفي هذه الحضرة تُرفَع للمكاشف مراتب القطبية، وعلم الانعكاسات ودوام الدّائمات وترتيب الموجودات والقدرة على حفظ الحِكم الإلهية بعد علمها والأمانة على تبليغها إلى أهلها.

السماء الخامسة

يتعلم فيها السالك من روحانية هارون- عليه السلام- مرتبة الخلافة البشرية، ونتائج الدّعوة إلى الله تعالى باللين والرّفق. ويرى فيها أيضا أسرار الشرع في الأضاحي، ومنشأ الخلاف الظاهر في العالم واختلاف الصور في ذلك، وبواعث الفتن والحروب الظاهرة والباطنة.

السماء السادسة

يستفيد فيها السالك من موسى- عليه السلام- اثني عشر ألف علم من العلم الإلهي، زيادة على علوم الدّوْر والكوْر، ويعلمه أنّ التجلي الإلهي إنما يقع في صور الاعتقادات وفي الحاجات. ويذكر له طلبه النار لأهله، فما تجلى له إلا فيها إذ كانت عين حاجته، فلا يُرى إلا في الافتقار، وكل طالب فهو فقير إلى مطلوبه ضرورة. ويعلمه خلع الصور من الجوهر وإلباسه صورا غيرها، لأنّ الأعيان - أعيان الصور- لا تنقلب، فإنه يؤدّي إلى انقلاب الحقائق، وإنما الإدراكات تتعلق بالمدرَكات، تلك المدركات لها صحيحة لا شك فيها، فيتخيّل من لا علم له بالحقائق أنّ الأعيان انقلبت، وما انقلبت. ومن هنا يُعلم تجلى الحق في القيامة في صورة يتعوّذ أهل الموقف منها، وينزّهون الحق عنها، وهو الحق ما هو غيره، وذلك في أبصارهم، فإنّ الحقّ منزّه عن قيام التغيير به والتبديل.

ومن هذه السماء يعلم العلم الغريب وهو معنى قوله تعالى لموسى- عليه السلام-: [وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى]، فقال: [هِيَ عَصايَ]؛ والسؤال عن الضروريات ما يكون من العالِم بذلك إلا لمعنى غامض. ثم قال في تحقيق كونها عصا: [أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَلِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى]، كل ذلك من كونها عصا. وهذا تنبيه إلهي على أنّ الأعيان لا تنقلب: فالعصا لا تكون حيّة، ولا الحيّة عصا، ولكن الجوهر القابل صورة العصا قبِل صورة الحية. فهي صور يخلعها الحق القادر الخالق عن الجوهر إذا شاء، ويخلع عليه صورة أخرى. ويُعايمن المكاشف في هذه الحضرة بعالم الغيرة وكشف الحق على أتمّ وجوهه والآراء السليمة

والمذاهب المستقيمة والشرائع المنزّلة، ويرى عالما قد زيّنهم الله من المعارف القدسيّة بأحسن زينة.

السماء السابعة

يتلقى السالك في هذه الحضرة من روحانية إبراهيم- عليه السلام- وصايا وعلوما، منها أن يجعل قلبه مثل البيت المعمور الذي هو كعبة هذه السماء، وذلك بحضوره مع الحق في كل حال؛ وأعلمه أنه ما وسع الحق شيء سوى قلب المؤمن. ومن هذه السماء يكون الاستدراج الذي لا يُعلم، والمكر الخفي الذي لا يُشعر به، والكيد المتين، والحجاب، والثبات في الأمور والتأني فيها، والوقار والسكينة وغامضات الأسرار. ومن هنا يعرف معنى قوله: [لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ] لأن لهما في الناس درجة الأبوّة، فلا يلحقهما أبدا؛ قال تعالى:[أَنِ اشْكُرْ لِي ولِوالِدَيْكَ]. ومن هذه السماء يعلم أنّ كل ما سوى الإنس والجان سعيد، لا دخول له في الشقاء الأخروي، وأنّ الإنس والجان منهم شقي وسعيد، فالشقي يجري إلى أجل في الأشقياء، لأنّ الرحمة سبقت الغضب، والسعيد إلى غير أجل. ومن هنا يعرف تفضيل خلق الإنسان، وتوجّه اليديْن على خلق آدم دون غيره من المخلوقات. ويعلم أنه ما ثم جنس من المخلوقات إلا وله طريقة واحدة في الخلق، لم تتنوع عليه صنوف الخلق تنوّعها على الإنسان، فإنه تنوّع عليه الخلق: فخلق آدم يخالف خلق حواء، وخلق حواء يخالف خلق عيسى، وخلق عيسى يخالف خلق سائر بني آدم، وكلهم إنسان. ومن هنا زيّن للإنسان سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنا، وعند تجلي هذا التزيين يشكر السالك الله تعالى على تخلصه من مثل هذا. ومن هنا تثبت أعيان الصور في الجوهر التي

تحت هذا الفلك إلى الأرض خاصة. ومن هنا تعرف ملة إبراهيم أنها ملة سمحاء ما فيها من حرج.

التناسب بين الصلوات اليومية والسماوات السبعة وأنبيائها

خصّص الشيخ لهذا الموضوع القسم الثاني من كتابه الذي سبق ذكر عنوانه: "تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك"، وعنوانه الآخر هو "التنزلات الموصلية" لأنه كتبه في الموصل سنة ٦٠١هـ.. أمّا قسمه الأوّل فيتضمّن في البداية فصولا في معرفة التكليف وسبب وضع الشريعة ومقام الرسالة والرسول، ثمّ تطرّق إلى بيان سبب تخصيص كتابه هذا أسرار الصلوات الصلوات الخمس وشروط الإمام والمأموم. ثمّ شرع في تفاصيل وافية لبيان أسرار بمسائل الطهارَة. والكتاب يشتمل على ٥٤ بابا. ويفتتح كلّ باب منه، والكثير من فقراته بقصائد بديعة. وفيه تفاصيل وافية عن خصوصيات كلّ سماء وبعض الأسرار المخصوصة بأقطابها الأنبياء، خصوصا سماء إدريس الشمسية، وسماء آدم القمرية، كلّ ذلك بأسلوب سجع رائق ومعنى غزير دافق.

وفي عنوانه "التنزلات الموصلية" إشارة إلى الموضوع الإجمالي للكتاب: فلفظة "مو" تشير إلى الماء. ولهذا أشار الشيخ في الباب ١٤ من الفتوحات إلى اسم "موسى" – عليه السلام- باسم "شجر الماء" لأنّ قوم فرْعون سموه بهذا الاسم لمّا وجدوه في التابوت بين الماء والشجر بعد أن ألقته أمّه في اليمّ. ولفظة"صل" تشير إلى الصلاة. وبالتالي فكلمة "موصل" تشير إلى الطهارة والصلاة، وهما سببا الوصول إلى رضوان الله تعالى. وقد جعل الشيخ الباب ٢٧ من الفتوحات تحت عنوان: "صَلِّ فقد نويت وصالك".

وفي القسم الأخير من هذا الكتاب بيّن الشيخ ما يلي:

- اختصاص الإمام بيوم الأحد وما يظهر فيه من الانفعالات.
- في اختصاص المأموم بيوم الاثنين وما يطهر فيه من الانفعالات.
- في اختصاص العشاء بيوم الثلاثاء وإمامه هارون-عليه السلام-.
- في اختصاص العصر بيوم الأربعاء وإمامه عيسى-عليه السلام-.
- في اختصاص الظهر بيوم الخميس وإمامه موسى-عليه السلام-.
- في اختصاص المغرب بيوم الجمعة وإمامه يوسف-عليه السلام-.
- في اختصاص الصبح بيوم السبت وإمامه إبراهيم-عليه السلام-.
- في أنّ يوم السبت هو يوم الأبد وهو يوم الاستحالات.
- في بيان أنّ صلاة العصر هي الصلاة الوسطى.
- في معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج: ٢٣).

والسؤال الذي يُطرَح حول هذا الترتيب ولم يُوضحه الشيخ هو: ما سبب هذا التناسب بين الأيّام والصلوات على ضوء ما سبق بيانه من التناسب بين الأيام والسماوات؟

من المحتمل أن يكون الجواب كالتالي، والله أعلم بمرَاد الشيخ:

- فكون يوم الأحد مناسب للإمام المتبوع واضح، لأنّ أوقات الصلوات تابعة للحركة الشمسية الظاهرية خلال اليوم، وروحانية الشمس هي الحاكمة على نهار الأحد ويومه الإيلاجي.

- وكون يوم الاثنين مناسب للمأموم واضح أيضا، لأنّ القمر من حيث استمداد نورها من الشمس هي كالمأموم في تبعيته للإمام، وكيوم الاثنين التالي ليوم الأحد.

وبعد يوم الاثنين يأتي يوم الثلاثاء. فننظر في ساعات نهاره وليله أنسب الساعات للصلوات الخمس، لنعرف ما يناسبها من الأيام والسماوات وأنبيائها:

- فالحاكم على يوم الثلاثاء هو روحانيته المريخ. ووقت صلاة الظهر فيه يدخل بعد الزّوال، أي بعد مضيّ ستّ ساعات من بداية اليوم. أي أنّ دخول وقت الظهر يكون في الساعة السابعة من يوم الثلاثاء، والحاكم على هذه الساعة هو روحانية المشتري في فلك السماء الخامسة التي قطبها موسى- عليه السلام- ويومها الخميس. فجعل الشيخ اختصاص الظهر بيوم الخميس وإمامه موسى -عليه السلام-.

- وفي نهار الثلاثاء يكون الوقت الأوسط لصلاة العصر في ساعته الحادية عشرة الحاكم عليها روحانية الكاتب الحاكمة على يوم الأربعاء في السماء العيسوية الثانية. ولهذا جعل الشيخ اختصاص العصر بيوم الأربعاء وإمامه عيسى -عليه السلام-. وصلاة العصر في غاية المناسبة مع سماء الكاتب لأنها سماء المزج لكلّ الطبائع والأوصاف، وصلاة العصر هي الوسطى الجامعة لأنها في وسط طرفي الظهر المناسب للاسم "الظاهر" وبداية الليل المناسب للاسم "الباطن".

- أمّا الصلوات الليلية، أي المغرب والعشاء والصبح، فيُنظر إلى أنسب ساعاتها في ليلة الثلاثاء. فوقت المعرب يدخل في أوّل ساعة منها، وهي لروحانية الزهرة الحاكمة على يوم الجمعة. فجعل الشيخ اختصاص المغرب بيوم الجمعة وإمامه يوسف -عليه السلام-.

- ويدخل وقت العشاء في أواخر الساعة الثانية من ليلة الثلاثاء، وهي للكاتب وعيسى- عليه السلام، الذي سبق القول أنه المناسب لصلاة

العصر. والساعة الثالثة من هذه الليلة للقمر الذي سبق القول إنها للمأموم. والساعة الرّابعة لهذه الليلة هي لزحل الحاكم على ليلته روحانية المرّيخ في سماء هارون- عليه السلام- الخامسة، فتكون هي المناسبة لصلاة العشاء الذي يمتدّ وقته إلى منتصف الليل أو بعده. فجعل الشيخ اختصاص العشاء بيوم الثلاثاء وإمامه هارون-عليه السلام-.

- وفي الساعة الحادية عشرة من ليلة الثلاثاء يدخل وقت الصبح. والحاكم على هذه الساعة روحانية زحل التي لها يوم السبت وسماء إبراهيم السابعة. فجعل الشيخ اختصاص الصبح بيوم السبت وإمامه إبراهيم الخليل-عليه السلام-.

وللتوسّع في معرفة أسرار أوقات الصلوات ينظر الباب ٦٩ من الفتوحات المخصوص بأسرار الصلاة.

صلاة العصر هي الصلاة الوسطى

في الباب ٢٨١ من الفتوحات المتعلّق بسورة العصر وعنوانه: «في معرفة منزل الضمّ وإقامة الواحد مقام الجماعة من الحضرة المحمدية» صرّح الشيخ في الأبيات التي افتتح بها هذا الباب بأنّ صلاة العصر هي الصلاة الوسطى فقال:

صلاة العصرـ ليس لها نظير ... لنظم الشمل فيها بالحبيب

هي الوسطى لأمر فيه دوْر ... محصّلة على أمر عجيب

وما للدور من وسط تراه ... ولا طرفين في علم اللبيب

فكيف الأمر فيه فدتك نفسيـ ... فخُصّ العبد بالعلم الغريب

قال رَبّ هذا المنزل (يعني به النبي صلى الله عليه وسلم): "إنّ الصلاة الوسطى أجرها مقرون - إذا لم تصلّ في جماعة- بأجر من وتر أهله وماله".

وعاد الشيخ إلى تأكيد هذه الحقيقة في آخر كتب "التنزلات الموصلية" فقال:

[... وقد جاء في الخبر الحق، في يوم الخندق، أنه- عليه السلام- أبدل العصر من الوسطى بدل الشيء من الشيء،وهما لعين واحدة، فهي المختارة المُثلى. وقد أثبتتها عائشة - أمّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها- في مصحفها بواو التوكيد، وهذا في المسألة من أعظم تأييد. ومن خالف ما ذكرناه من علماء الآراء والرّواية فرواياته واهية، وأقوال ما عليها من طلاوة. فسلطان هذا الحُكم من معارف الرسم وعلوم الوسم، ثم نرجع فيها إلى الحُكم بعلم الكشف المحقّق، بالنور المطلق، أقول:

شاهدتْ عينُ السرّ في حضرة الوتر، أنّ الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، لأنّ الظهر لظهوره في مقام الفناء، والمغرب لظهوره في مقام البقاء، والعشاء لظهوره في مزج الأولياء والأعداء، والصبح لظهوره في طريق أخبار السفراء، والعصر لظهوره في خط الاستواء، لأنّ شجرة المشاهد لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، والمراد بقاء الأبصار، فجمع بين العالم البسيط اللطيف، وعالم التخطيط الكثيف، ولم يتغيّر في هذا المشهد شيء من أشكال نظام الأحوال، فشاهده الإنسان في كماله، بقوّة اعتداله. وما عدا هذا المقام (يعني مقام صلاة العصر) فانحراف عن الاعتدال بنور أو ظلام. والحق المطلوب والفضيلة عند الرّجال، إنما هي في المشاهدة والاعتدال، فضمّه إليه عند صحْوه، وأثبته بعد محوه، وألحفه لحف

الجمال والأنس، وأمره أن يخلع على عالم النفس. فلا تُعرف الحقائق الرّوحانيّة إلا بتنزّل الرّقائق الإلهيّة. ولتكف هذه الإشارة في الوسطى من الوسط والأوسط، فإنها تنزيل من الحكيم المقسط] انتهى.

في أنّ يوم السبت هو يوم الاستحالات وهو يوم الأبد

خصّص الشيخ لبيان هذا المعنى فقرة في آخر كتابه "التنزلات الموصلية"، وكذلك في أبواب من الفتوحات. منها في الباب ٧١ المتعلق بأسرار الصوم، منها قوله في فصل الاختلاف في صوم يوم السبت:

[اعلم أنّ يوم السبت عندنا هو يوم الأبد الذي لا انقضاء ليومه، فليله في جهنم فهي سوداء مظلمة، ونهاره لأهل الجنان فالجنة مضيئة مشرقة...].

وفي الفصل ٢١ من الباب ١٩٨، وهو الفصل المتعلق بسماء زحل السابعة يقول: [ومن هذا الفلك أعطى الله وجود يوم السبت، وهو يوم الأبد... وفيه تحدث الأيام السبعة ومنها السبت. وهذا من أعجب الأمور أيضا أنّ الأيّام التي منها السبت تحدث في يوم السبت، فهو من جملة الأيام وفيه تظهر الأيام]. وكرّر الشيخ نفس هذا المعنى في الباب ٣٩٨ المتعلق بسورة الواقعة، وفيه سمّى يوم السبت بـ"اليوم العقيم".

وفي الباب ٤٠٨ ذكر واقعة عجيبة تتعلق بيوم السبت حصلت له خلال طوافه بالكعبة ولقائه بروحانية أحمد السبتي بن الخليفة هارون الرشيد،وقد توفي سنة ١٨٤ هـ.أي قبل هذه الواقعة بأكثر من أربعة قرون. يقول الشيخ:

[الباب ٤٠٨ في معرفة منازلة: "يوم السبت حُلّ عنك مئزر الجدّ الذي شددته، فقد فرغ العالم مني وفرغتُ منه":

فرغنا من الأجناس فالخلق خلقنا وقد بقيت أشخاصها تتكوّن

مدى الجود والأنفاس فالأمر دائم إلى غير غايات له تتعيّن

هو الغاية القصوى فليست نهاية سواه فهذا حقه المتيقّن

أنا البدء لا عَوْد تراه لأنه هو الواسع المختار بي فتبيّنوا

أنا أوّل بالقصد فالكون كوْننا وآخر موجود أنا يتيقّن

كلوا طيّبات الرزق من كل جانب فمن أجلنا بانوا ولله كوّنوا

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ (الأعراف: ١٦٣). فنقول من باب الإشارة لا من باب التفسير: يتجاوزون بالرّاحة حدّها، وبها سمِّي السبت سبتا. فإنّ الله خلق العالم في ستة أيام، بدأ به يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة، وما مسّه من لغوب، ولم يعي بخلقه الخلق. فلمّا كان يوم السابع من الأسبوع، وفرغ من العالم، كان يشبه المستريح الذي مسّه اللغوب، فاستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال: "أنا المَلِك". كذا ورد في الأخبار النبويّة (قلت: تعالى الله عن التجسيم كما أكّده الشيخ في الكثير من نصوصه. والمقصود من الرّجلين هو توجّه الإرادة الإلهية لخلق الزوجيات الكونية. ووضع إحداهما على الأخرى عبارة عن الانتهاء من خلق أجناس هذه الزوجيات في دورة معيّنة من دورات التجليات التي لا حصر لها. والله أعلم)، فسمّى: "يوم السبت"، يريد يوم الرّاحة، وهو يوم الأبد، ففيه تتكوّن أشخاص كل نوع دنيا وآخرة.

فما هي إلا سبعة أيّام، لكلّ يوم وال ولاّه الله (يعني الشيخ بالوالي روحانية كوكب الساعة الأولى من كل يوم). فانتهى الأمر إلى يوم السبت،

فولّى الله أمره واليًا له الإمساك والثبوت (يعني الشيخ أنّ واليه روحانية كوكب زحل في فلك السماء السابعة، وطبعه ترابي بارد يابس)، فله إمساك الصور في الهباء. فنهار هذا اليوم -الذي هو يوم الأبد- لأهل الجنان، وليله لأهل النار، فلا مساء لنهاره، ولا صبح لليله.

وما رأينا أحدا اعتبر هذا اليوم إلا السبتي أحمد بن هارون الرشيد أمير المؤمنين. وذلك أني كنت يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة بمكة قد دخلت الطواف، فرأيت رجلا حسن الهيئة، له هيبة ووقار، وهو يطوف بالبيت أمامي، فصرفت نظري إليه عسى أعرفه، فما عرفته في المجاورين، ولم أر عليه علامة قادم من سفر لِما كان عليه من الغضاضة والنضارة، فرأيته يمرّ بين الرّجُلين المتلاصقين في الطواف ويعبر بينهما ولا يفصل بينهما ولا يشعران به، فجعلت أتتبع بأقدامي مواضع وطئت أقدامه، ما يرفع قدما إلا وضعت قدمي في موضع قدمه وذهني إليه، وبصري معه لئلا يفوتني فكنت أمر بالرجلين المتلاصقين اللذين يمر هو بينهما فأجوزهما في، إثره كما يجوزهما ولا أفصل بينهما، فتعجبت من ذلك. فلمّا أكمل أسبوعه وأراد الخروج مسكته وسلمت عليه، فرَد عليّ السلام وتبسم لي، وأنا لا أصرف نظري عنه مخافة أن يفوتني. فإني ما شككت فيه أنه روح تجسّد، وعلمت أنّ البصر يقيّده. فقلت له: إني أعلم أنك روح متجسّد، فقال لي: صدقت، فقلت له: فمن أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا السبتي بن هارون الرشيد، فقلت له: أريد أن أسألك عن حال كنتَ عليه في أيّام حياتك في الدنيا، قال: قل، قلت: بلغني أنك ما سُمِّيت السبتي إلا لكونك كنت تحترف كل سبت بقدر ما تأكله في بقيّة الأسبوع، فقال: الذي بلغك صحيح كذلك كان الأمر، فقلت له: فلِمَ

خصصت يوم السبت دون غيره من الأيام أيام الأسبوع؟ فقال: نِعْمَ ما سألتَ؛ ثم قال لي: بلغني أنّ الله ابتدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة، فلمّا كان يوم السبت استلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال: "أنا الملك"، هذا بلغني في الأخبار وأنا في الحياة الدنيا، فقلت والله لأعملنّ على هذا، فتفرّغت لعبادة الله من يوم الأحد إلى آخر الستة الأيام، لا أشتغل بشيء إلا بعبادته تعالى، وأقول إنه تعالى كما اعتنى بنا في هذه الأيام الستة فإني أتفرّغ إلى عبادته فيها، ولا أمزجها بشغل نفسي، فإذا كان يوم السبت أتفرّغ لنفسي وأتحصل لها ما يقوتها في باقي الأسبوع، كما روينا من إلقاء إحدى رجليه على الأخرى وقوله: "أنا الملك" الحديث، وفتح الله لي في ذلك. فقلت له: من كان قطب الزمان في وقتك؟ فقال: أنا ولا فخر، قلت له: كذلك وقع لي التعريف، قال: صدقك من عرّفك، ثم قال لي: عن أمرك يريد المفارقة، قلت له: ذلك إليك، فسلّم عليّ سلام محبّ وانصرف.

وكان بعض أصحابي والجماعة في انتظاري، لكونهم كانوا يشتغلون عليّ بإحياء علوم الدين للغزالي - رحمه الله-، فلمّا فرغت من ركعتي الطواف وجئت إليهم قال لي بعضهم، وهو نبيل بن خزر بن خزرون السبتي (أي أنّه من مدينة سبتة المدينة المغربية على ساحل البحر الأبيض المتوسط): رأيناك تكلم رجلا غريبا حسن الوجه وسيما لا نعرفه في المجاورين، مَن كان؟ ومتى جا؟ء فسكتُّ ولم أخبرْهم بشيء من شأنه، إلا بعض إخواني فإني أخبرتهم بقصته فتعجّبوا لذلك.

واعلم- أيّدنا الله وإيّاك- أنّ الفراغ الإلهيّ إنما كان من الأجناس في الستة الأيام، وأمّا أشخاص الأنواع فلا. فبقي الفراغ بالأزمان، لا عن

الأشخاص، وهو قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ (الرحمن: ٣١) من الشئون الذي قال فيها: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩) في هذه الدنيا، فيفرغ لنا منا، وتنتقل الشئون إلى البرزخ والدار الآخرة. فلا يزال الأمر من فراغ إلى فراغ، إلى أن يصل أوان عموم الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فلا يقع بعد ذلك فَرَاغ يحدّه حال ولا يميّزه، بل وجود مستمرّ ووجود ثابت مستقّر إلى غير نهاية في الدارَين: دار الجنة ودار النار. هكذا هو الأمر في نفسه. ففراغه من العالم هذا القدر الذي ذكرته آنفا، وفراغ العالم منه من حيث الدلالة عليه لا غير. وأمّا الوهب من العلم به فلا يزال دائما، لكن من غير طلب في الآخرة مقالي، لكن التجلي دائم، القبول دائم، فالعلم متجدّد الظهور لي على الدّوام. وَالله يَقُولُ الْحَقَّ ووَ يَهْدِي السَّبِيلَ] انتهى.

وقصة حياة أحمد السبتي ذكرها العديد من المؤرخين بروايات تختلف تفاصيلها، من بينها روايتان ذكرهما ابن الجوزي في كتابه "صفة الصفوة"، وقال إنّ أصحّها الرواية التالية لأنّ طريقها متصل ورواته ثقات. قال:

عن عبد الله بن الفرج قال: خرجت يوما أطلب رجلا يَرُمُّ لي شيئا في الدار. فذهبت، فأشير لي إلى رجل حسن الوجه، بين يديه مَرٌّ وزَبيل. فقلت: تعمل لي؟ قال: نعم بدرهم ودانق. فقلت: قم، فقام، فعمل لي عملا بدرهم ودانق. قال: ثم أتيت يوما آخر فسألت عنه، فقيل لي: ذلك رجل لا يُرى في الجمعة إلا يوما واحدا، يوم كذا. قال: فجئت ذلك اليوم فقلت: تعمل لي؟ قال: نعم بدرهم ودانق. فقلت أنا: بدرهم. فقال: بدرهم ودانق. فقلت: قم. ولم يكن بي الدانق ولكن أحببت أن أستعلم ما عنده. فلمّا كان المساء وزنت درهما فقال لي: ما هذا؟ قلت: درهم. قال: ألم اقل لك درهم ودانق؟

أفّ لقد أفسدتَ عليّ. فقلت: وأنا لم أقل لك بدرهم؟ فقال: لست آخذ منك شيئا. قال: فوزنت درْهما ودانقا، فقلت: خذ، فأبى أن يأخذه وقال: سبحان الله أقول لك لا آخذه وتلحّ علي؟ فأبى أن يأخذه ومضى.

قال: فأقبل عليّ أهلي وقالت: فعلَ الله بك، ما أردت إلى رجل عمل لك عملا بدرْهم أن أفسدتَ عليه؟ قال: فجئت يوما أسأل عنه، فقيل لي: مريض. فاستدللت على بيته، فأتيته، فاستأذنت عليه فدخلت وهو مبطون، وليس في بيته شيء إلا ذلك المرَ والزَّبيل: فسلمت عليه، وقلت له: لي إليك حاجة، وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن: أحبّ أن تجيء إلى بيتي أمرّضك. قال: وتحبّ ذلك؟ قلت: نعم، قال: بشرائط ثلاث، قلت: نعم. قال: لا تعرض عليّ طعاما حتى أسألك، وإذا أنا متّ أن تدفنني في كسائي وجبّتي هذه، قلت: نعم، قال: والثالثة أشدّ منهما وهي شديدة، قلت: وإن كان.

قال: فحملته إلى منزلي عند الظهر. فلمّا أصبحت من الغد ناداني: يا عبد الله. فقلت: ما شأنك؟ قال: قد احتضرت، افتح صرّة على كمّ جبتي. قال: ففتحتها فإذا فيها خاتم عليه فصّ أحمر. فقال: إذا أنا متّ ودفنتني فخذ هذا الخاتم ثم ادفعه إلى هارون أمير المؤمنين، وقل له يقول لك صاحب هذا الخاتم: "ويحك لا تموتن على سكرتك هذه، فإنك إن متّ على سكرتك هذه ندمتَ".

فلما دفنته، سألت عن يوم خروج هارون أمير المؤمنين، وكتبت قصّة وتعرّضت له. قال: فدفعتها إليه، وأوذيت أذى شديدا. فلمّا دخل قصره وقرأ القصة قال: عليّ بصاحب هذه القصة. قال: فأدخلت عليه وهو

مغضَب، قال: تتعرّضون لنا وتفعلون؟ فلمّا رأيت غضبه أخرجت الخاتم، فلمّا نظر إلى الخاتم قال: من أين لك هذا الخاتم؟ قلت: دفعه إليّ رجل طيّان. فقال لي: طيّان طيّان. وقرّبني منه. فقلت له: يا أمير المؤمنين إنه أوصاني بوصية. فقال لي: ويحك قل. فقلت: يا أمير المؤمنين إنه أوصاني إذا أوصلت إليك هذا الخاتم فقل له: يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام ويقول لك: "ويحك لا تموتنّ على سكرتك هذه، فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت". فقام على رجليه قائما، وضرب بنفسه البساط، وجعل يتقلب عليه ويقول: يا بنيّ نصحت أباك.

فقلت في نفسي: كأنه ابنه؟ ثم جلس وجاءوا بالماء فمسحوا وجهه، وقال لي: كيف عرفته؟ فقصصت عليه قصته. قال: فبكى وقال: هذا أوّل مولود وُلد لي، وكان أبي المهدي ذكر إلى زبيدة أنْ يزوّجني، فبصرت بهذه المرأة فوقعتْ في قلبي وكانت حسنة، فتزّوجت بها سرّا من أبي، فأوْلدتها هذا المولود، وأحدرتها إلى البصرة، وأعطيتها هذا الخاتم وأشياء وقلت: اكتمي نفسك، فإذا بلغك أني قد قعدت للخلافة فأتيني. فلمّا قعدتُ للخلافة سألت عنهما، فذكر لي أنهما ماتا، ولم أعلم أنه باق. فأين دفنته؟ قلت: يا أمير المؤمنين دفنته في مقابر عبد الله بن مالك. قال: لي إليك حاجة: إذا كان بعد المغرب فقف لي بالباب حتى أخرج إليك فأخرج متنكرًا إلى قبره.

فوقفتُ له، فخرج متنكّرا والخدم حوله، ووضع يده بيدي، وصاح بالخدم فتنحّوا، وجئت به إلى قبره، فما زال ليلته يبكي إلى أن أصبح. ويُدير رأسه ولحيته على قبره يقول: يا بنيّ لقد نصحت أباك.

قال: فجعلت أبكي لبكائه رحمة مني له. ثم سمع كلاما فقال: كأني أسمع كلام الناس. قلت: أجل أصبحتَ يا أمير المؤمنين، قد طلع الفجر. فقال لي: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، واكتب عيالك مع عيالي، مع من تهتم به، فإن لك عليّ حقا بدفنك ولدي، وإن أنا متّ أوصيتُ من يلي بعدي أن يُجرى عليك، ما بقي لك عقب. ثم أخذ بيدي حتى إذا بلغ قريبا من القصر ويده بيدي إذا الخدم. فلما صاروا إلى القصر قال لي: انظر ما وصيتك به: إذا طلعت الشمس قف لي حتى أنظر إليك وأدعو بك فتحدثني حديثه. قلت: إن شاء الله. فلم أعد إليه.

انتهى الكتاب، وسلام على عباده الذين اصطفى، والحمد لله ربّ العالمين.

كتب عبد الباقي مفتاح
المطبوعة حتى سنة ١٤٤٠ هـ/ ٢٠١٨م

❖ **حول الشيخ الأكبر سيدي محمد محيي الدين بن العربي (١٧ كتابا):**

١ - حلّ المقفلات من كتاب "فصوص الحكم لابن العربي" بالأسماء الحسنى والآيات [وعنوانه الآخر: المفاتيح الوجودية والقرآنية لفصوص الحكم لابن العربي] (نشرته دار عالم الكتب الحديث في الأردن، ودار البراق ببيروت، ودار الكتب العلمية ببيروت، ودار القبة الزرقاء في مراكش؛ وترجم إلى الفارسية والتركية والفرنسية، والإيطالية).

٢ - سيرة محمد محيي الدين بن العربي [وعنوانه الآخر: ختم القرآن محمد محيي الدين بن العربي] (نفس دور النشر المذكورة في "١"- وترجم إلى التركية).

٣ - الشرح القرآني لكتاب"مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية" لابن العربي (نفس الناشر الأردني، ودار الكتب العلمية ببيروت - وترجم إلى التركية).

٤ - الشرح القرآني لكتاب التجليات لابن العربي (نفس الناشر الأردني).

٥ - حقائق القرآن عند ابن العربي (نفس الناشر الأردني).

٦ - الكمالات المحمديّة والإنسان الكامل، في رؤية ابن العربي (نفس الناشر الأردني).

٧ - الحقائق الوجودية الكبرى في رؤية ابن العربي (دار نينوى بدمشق، ونفس الناشر الأردني).

٨ - شروح ومفاتيح لمفاهيم الشيخ الأكبر محي الدّين بن العربي (نفس الناشر الأردني، ودار الكتب العلمية ببيروت).

٩ - الردّ على محمود الغراب في تشريحه لفصوص الحكم لابن العربي (نفس الناشر الأردني).

١٠ - شروح على التفسير الإشاري للقرآن الكريم لابن العربي (كل السور) في أربعة مجلدات (نفس الناشر الأردني).

١١- حقائق الأسماء الحسنى وشرحها عند ابن العربي (نفس الناشر الأردني).

١٢- تحقيق وشرح كتاب"إشارات القرآن في عالم الإنسان" لابن العربي (دار نينوى بدمشق).

١٣- تحقيق كتاب "لواقح الأسرار من كلام ابن العربي" لابن سودكين، مع تعقيبات حول بعض فقَرَاته (دار نينوى بدمشق)- ترجم إلى الانجليزية.

١٤ - شرح كتاب "عنقاء مغرب في ختم الولاية وشمس المغرب" لابن العربي (دار نينوى بدمشق).

١٥- شروح حول تفاسير البسملة والفاتحة لابن العربي (نشر في دار الكتب الصوفية والفلسفية في الجزائر).

١٦- المرجعيات القرآنية لأبواب كتاب "الفتوحات المكية" لابن العربي (نفس الناشر الأردني).

١٧- شروح على أبواب الفتوحات المكية لابن العربي (يحَظّر للطبع).

١٨- الشرح التامّ لكتاب "أيّام الشأن" لابن العربي.

كتب أخرى:

١٩- تحقيق كتاب "المواقف" للأمير عبد القادر الجزائري (ثلاثة أجزاء، نشر مرتين في مطبعة دار الهدى بالجزائر، وهو بصدد الإعداد لطبعة ثالثة في دار الكتب الفلسفية والصوفية بالجزائر).

٢٠ - كتاب الاسم الأعظم (دار الكتب العلمية ببيروت، ودار عالم الكتب الحديث بالأردن، وترجم إلى التركية).

٢١ - نظرات على الشيخ أحمد التجاني وطريقته وأتباعه (دار الوليد بالجزائر، ودار الكتب العلمية ببيروت، ودار عالم الكتب الحديث بالأردن).

٢٢ - نظرات على الطريقة الرّحمانية الخلوتية (دار الوليد بالجزائر، ودار الكتب العلمية ببيروت، ودار عالم الكتب الحديث بالأردن).

٢٣- نظرات على الشيخ عبد القادر الجيلاني وطريقته وانتشارها (دار الهدى بالجزائر، ودار الكتب العلمية ببيروت، ودار عالم الكتب الحديث بالأردن).

٢٤- أضواء على الطريقة الشابّية الشاذلية (دار نينوى بدمشق).

٢٥ - الكوكب الدرّي في شرح الصلاة على النبيّ الأمّيّ (دار عالم الكتب الحديث بالأردن).

٢٦- العرفان عبر تاريخ كبرى الملل في رؤية الشيوخ عبد الواحد يحيى (رنيه جينو) وابن العربي وعبد الكريم الجيلي (دار نينوى بدمشق، وتحت الطبع في دار الكتب الفلسفية والصوفية في الجزائر).

٢٧- السماع والمصطلحات والرّموز الصوفية عند عبد الكريم الجيلي وابن العربي (نفس الناشر الأردني).

٢٨- الشرح الشامل لكتاب الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي (يحَظّر للطبع).

٢٩- كتاب بالفرنسية عنوانه: (Lumiére soufie) يشتمل على ١٦ بحثا حول ابن العربي والأمير عبد القادر الجزائري، أغلبها نشر في المجلة الفرنسية التي تصدر في باريس وعنوانها: "نحو التراث الروحي: Vers laTradition" (طبع في دار الكتب الفلسفية والصوفية في الجزائر)..

❖ **عناوين كتب الشيخ عبد الواحد يحيى (رنيه جينو) التي ترجمها عبدالباقي مفتاح من الفرنسية إلى العربية (نشرتها دار عالم الكتب الحديث بالأردن).**

١ - هيمنة الكمّ وعلامات آخر الزّمان.

٢ - رموز العلم المقدّس (٧٥ مقالة).

٣ - مليك العالم.

٤ – التصوّف الإسلامي المقارن (١٩ مقالة+ ١٤ تعليقات على كتب).

٥ – نظرات في التربية الرّوحية.

٦ – التربية والتحقق الرّوحي: تصحيح المفاهيم.

٧ – مراتب الوجود المتعدّدة.

٨ – رموز الإنسان الكامل (أو: رموز تقاطع خط الإسراء الأفقي بخط المعراج العمودي- أو: رمزية الصليب).

٩ – شرق وغرب.

١٠ – أزمة العالم الحديث.

١١ – الميتافيزيقا الشرقية (في الهند وفي الصين).

١٢ – السلطة الرّوحية والحكم الزمني.